(قل كل متربص فتربصوا ، فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)
(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون)
« قرآن كريم »

القول السديد

فى قمع الحرازى العنيد

بقلم الفقير إلى الله الداعى إلى توحيد الله تجاه بيت الله

محمود شويل

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

مطبعة السنة المحمدية

٥ شارع غيط النوبي ــ القاهرة

ت ٧٩٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد أفضل مبعوث بتوحيد الله تعالى الذى ابتعث الله عز وجل به رسله من نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) فبلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة . بصدق وأمانة ، حتى أتاهم اليقين .

أما بعد ، فيقول العبد المعترف بالعجز والضعف لربه محمود شويل المدنى وهو تجاه الكعبة المشرفة ، مستنداً على مقام إبراهيم عليه السلام ، وعن يمينه حجر إسماعيل عليه السلام ، وعلى يساره بئر زمزم ركضة جبريل عليه السلام ، ومحال عقلا أن يجلس مسلم هذا المجلس فيكتب فى موضوع مستمداً من ربه تعالى المعونة عليه ، والنصر منه تعالى على الكتابة فى هذا الموضوع الذى شحذت القلم من أجله وأحضرت القرطاس له ، كاتباً فيه ما يفيضه الله عز وجل - ولا يريد بما يكتبه وجه ربه تعالى .

فأقول : بينا أنا جالس فى هذا المقام الذى أشرت إليه وإذا بوريقات خاطئة وصحف خاسرة ضالة ، عنونها صاحبها (بالوهابية المهزومة) لمحمد البكرى أبو حراز السودانى ، مدعياً أنه يحمل شهادة عالمية ، ويدرس أيضاً بمعارف السودان فعجبنا العجب كله إذ بلغ بهذا المدعى هذا المبلغ : حمل شهادة عالمية واعتُمِد بها مدرساً ، ويجهل الوهابية التى هى دين الله المبين ، وحبله المتين الذى ابتعث به تعالى رسله ، وأنزل من أجله كتبه ، وخلق له جنته وناره ، وأمر رسله عليهم السلام بالجهاد فيه والدعوة إليه ، لأنه الدين الخالص، الذى خلق الخلق له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما كما رواه البخارى فى صحيحه « إلا ليوحدون » .

نعم ، عجبنا والله العجب كله من خذلان الله تعالى لهذا المنتسب للعلم يحمل شهادته وانتصابه للتدريس ، فبم يحمل شهادته وقد خذله الله تعالى عن معرفة الوهابية فيوصفها بالانهزام . نعم ، وعجبنا العجب كله من أن يفطن الله تعالى « استورس الإمريكانى » مؤلف كتاب حاضر العالم الإسلامى

الذى ترجمه الأستاذ عجاج نويهض الفلسطينى إلى العربية ، وشرحه وعلق عليه أمير البيان المرحوم شكيب أرسلان إذ قال ذلك الأمريكانى بعد أن كتب ما كتبه عن انتقال الدين الإسلامى عن حقائقه النازلة من السماء على رسول الله ﷺ وعدم علم المسلمين بهـا ؛ لتغطية البدع والخرافات لها . إلى أن قال : ومن أراد أن ينظر إلى دين محمد ﷺ على حقيقته كيوم نزوله فليذهب إلى هضبات نجد ووديانها ، فيرى هذا الدين غضا طريا كيوم نزوله على محمد ﷺ .

وطبعاً يعلم كل عاقل أن استودرس الأمريكانى لم يقصد بالهضبات والوديان المنازل وقمم الجبال ، وإنما قصد سا كنها وهم الإخوان الوهابية أمد الله فى حياتهم ، وأبقى فيهم بقايا تكون حجة إلى يوم القيامة .

نعم ، الإخوان الوهابية الذين رمي هذا الحرازى المخذول مؤسس دعوتهم بما رماه به ، وقذفه بكل قذيفة يعلم الله تعالى أن الشيخ مؤسس هذه الدعوة براء منها ، وأنه ضد ماقرره عنه هذا الحرازى المخذول ، فهو إمام مجدد الإسلام ولكن لا غرو إذ رمى أسلاف هذا الحرازى قريش سيد

الرسل وخاتمهم محمدا ﷺ بما رموه به من ساحر ومجنون ، ومسحور وكاهن ، فللشيخ مؤسس هذه الدعوة أسوة ـ وأى أسوة ـ بما رمى به خليفتهم الحرازى إمام الدعوة ، ومجدد ما خلق منها شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى .

وها نحن بعون الله ناقلون بعض كلامه المخذول بما خذل به ليرى الناس جهله الفاضح ، وكذبه فى انتسابه إلى العلم ويشهد الله ، ونحن أمام بيته أننا لم نقصد بما نكتبه إلا إظهار الحقيقة ودحض باطل هذا المدعى ، والله المستعان .

بدأ الحرازى كتابه إلى صفحة ٧ بسب الشيخ رحمه الله والطعن فيه ، وليته مافعل ، إذ سوّد هذه الصحف السبعة من كتابه الخاطىء بما ننزه قلمنا عن ذكره .

لم يرقب هذا الحرازى الجاهل ربه ، ولم يتقه ولم يخش عذابه يوم القيامة ، إذ يوقفه ربه تعالى سائلا إياه عن قيئه الذى قاءه فى هذه الصحف السبع قائلا له : ما مدى علمك بمجدد دين الرسل محمد بن عبد الوهاب ؟ أجبنى أيها العبد الخاطىء الجاهل وأنت تدعى أنك تحمل شهادة العلم التى لم

تجعلك تفرق بين الهدى والضلال ، والنور والظلمة ، ولا بين الحق والباطل ، ولا بين ما يسعد ويشقى من علم الأنبياء والرسل الذين بعثتهم به ، وأرسلتهم لدعوة الخلق إليه ، وبين علم الهنادكة والبوذيين وفلاسفة اليونان ؟ أجب أيهـا العبد الخاطىء عن مقدار علمك بهذا المصلح المجدد ـ رحمه الله ـ أقرأت كتبه : كشف الشبهات الذى هو كآية إلهيـة أتى بها نصحاً للأمة ؟ أم ثلاثة أصوله التى كانت صحفة القليلة كأنها وحى قلبى أفيض عليه ؟ أم قرأت مسائل الجاهلية التى لم يسبقه إليهـا سابق ؟ فكان كتابه فيها كنزاً من كنوزى أظهرته له ليعلم الناس ما كانت عليه الجاهلية الأولى فيرفضونه ؟ أم كتاب التوحيد الذى حلل فيه كلمة التوحيد بأسلوبه المنير؟ أم قلدت فى عدائه الآباء والأجداد ، ونسيت آياتى فى النهى عن التقليد وأهله ؟

تحاشينا أن ننقل ماذكره هذا المجرم من سب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ذلك السب الذى قلد فيه غيره ، ولو وفقه الله ، وقرأ كتبه ، وأراد الله هدايته لطار إلى فئة السودان أنصار السنة المحمدية ، التى تدعو

دعوة الشيخ رحمه الله . ولـكن ما العمل وقد قال الله تعالى (فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء)

تركنا تلك الصحف الحرازية وما فيها من سب ، ضاربين عنها صفحا ، فمن أرادها فليرجع إلى كتابه يرى البذاء والسفه اللذين لا يليقان أن يحشى بهما تأليف يراد به وجه الله

ولنقتصر من هذه الصحف على ما ذكره فيها كذبا وزوراً من انتداب من ظنهم على عقيدة صحيحة ، مستنهضاً هممهم على مناوأة هذه العقيدة الإسلامية ، عقيدة الرسل الكرام عليهم السلام، قائلا: أيها القارىء الكريم ،إنهم أخطر للاسلام [1] من اليهودية والنصرانية ، لأنهم يوهمون العامة أنهم على حق - إلى أن قال - حاربهم أيها المسلم بالتكلم فى المجامع على بطلان مذهبهم ، حاربهم بإحراجهم فى الاجتماعات وبالسخرية مما يقولون الخ . فتمثلته وهو ينعق بهذه التهويشات الساخرة بأبى لهب بن عبد المطلب وشيعته حينما كانوا يجرون وراء النبى ﷺ محذرين منه القبائل ، قاعدين

(١) هكذا بالأصل ، وهو يقصد على الإسلام ، وهذا من جهله باللغة

على رؤوس الطرق ينهون من يرونه فيها من القرب منه ﷺ قائلين : هو ساحر لا تسمعوا له ، كاهن لا تصغوا إليه مجنون لا تجالسوه . ومن أحسن ما يستدل به هنا قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فما أشبه الليلة بالبارحة

نعم ، ما أشبه فعل هذا الحرازى فى انتدابه الناس لمحاربة عقيدة الوهابية ، وهى عقيدة الرسل -- بأبى لهب وحزبه ، أسكنه الله مساكنهم ، وقرنه معهم فى سجين

وقال ص ٦ (علماء الشريعة الإسلامية يحكمون على الوهابية بالكفر) وقال تحت هذا العنوان الفاجر :

إن المحقق عند علماء الإسلام كافة من أقوال زعيم الوهابية وأفعاله هو ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لاستحلاله أمراً مجمعاً عليه ، معلوما من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ ، والخارج عن القواعد الإسلامية تعمداً كافر . اه

شكل الحرازى تحت ذلك العنوان بجهله حكومة تحاكم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ثم أصدر حكمه الغشوم الجائر ، غير ذاكر شيئاً من الجرائم ، مما رتب الحكم عليه .

وهذا جهل مركب ، وسخف ما بعده سخف ، وجور عظيم عدا ما اعتور عبارته من لحن واضطراب

ثم أردف هذا بقوله « قرر أولا فى كتبه الشرعية [١] واحدة فما لهؤلاء جعلوها أربعة مذاهب ؟ هذا كتاب الله وسنة رسوله لا يعمل إلا بهما ، ولا يقتدى بأى قول دونهما . ثم قال هذا الحرازى الخاطىء : فهو بذلك الكلام يخالف المذاهب الأربعة ، وينكر القياس والإجماع »

صب الحرازى حكمه الآثم على الشيخ رحمه الله بعد أن شكل محكمته الوهمية فحكم ذلك الحكم الجائر ، . والله تعالى يعلم ويشهد ، والله خير الشاهدين أن الشيخ محمد رحمه الله لم يتعرض للمذاهب الأربعة بسوء ، ولم يقصدها برد ، وبين أيدينا كتب الشيخ المصنفة فى التوحيد وكتب أولاده وأحفاده الأئمة الفطاحل مملوءة بنقل مذاهب الأئمة الأربعة . بل إن الشيخ وأولاده على مذهب الإمام أحمد ، وهو أحد المذاهب الأربعة التى ادعى الحرازى الكاذب أنهم ينكرونها

---

(١) الصواب : الشريعة . ولكنه لا يحسن التعبير

ويرمون المستمسك بها . فإن كان صادقا فليدلنا على كلمة واحده تشهد له فى كتبهم ، ولن يستطيع

بك أصول ربى ، وبك أجول ، ناصراً دينك ذاباً عن أئمة الداعين إليه ، وأنا تجاه بيتك ربى ، مستعينا إياك فى نصر الحق ، وإن الرجاء فى فضلك كبير

ثم نقول لهذا الحرازى المدعى ماليس فيه : أى آية من آيات الله تعالى النازلة من عند الله على رسوله محمد ﷺ أو أى حديث صحيح أو ضعيف أو أى أثر لصحابى أو تابعى أو إمام متبع يدلك على تقليد أى أحد غير رسول الله ﷺ الذى أمر الله الخلق باتباعه وحده ؟ قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عما جاءك من العلم) (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

فهذا قرآننا أيها الحرازى المتكس ، وتلك نصوصه ، لا تُلزم مسلماً باتباع أحد غير رسول الله ﷺ ، فائتنا بأثارة من قرآنكم تنص على مدعاكم من أن الناس ملزمون بتقليد أحد غير رسول الله ﷺ .

قال فى الإنصاف : قال الشيخ تقى الدين : من أوجب تقليد إمام بعينه استتيب ، فإن تاب ، وإلا قتل .

وإن قال : ينبغي كان جاهلا ضالا . ومن كان متبعاً لإمام فخالفه فى بعض المسائل لقوة الدليل ، أو لكون أحدهما أعلم أو أتقى فقد أحسن ، ولم يُقدح فى عدالته . اهـ

وهذا إجماع ليس من لون إجماعكم الذى حكيته كذبا وزوراً ، فابحث عن قولنا هذا فى كتب علم السلف تجد علما غير العلم الذى حملت الشهادة فيه ، فتعرفه إن أردت الحق

ثم هل يستطيع الحرازى أن يأتى بلفظ واحد عن إمام من الأئمة الذين ادعى إجماعهم يلزم به أحداً بتقليده ؟ وهل يستطيع أيضا أن يصحح لنا إجماعه الذى ادعاه عن الأئمة ؟ وما معنى الإجماع ، ولم يجمع الأربعة الذين عناهم زمن واحد ؟ فإنا لله ، وإنا إليه راجعون

ثم ذكر الحرازى ص ٧ من صحفه الضالة جمهرة مما سماه إجرام الوهابية ، ونحن ذاكروها واحدة واحدة ، كارّون عليها مبينين إجرامه وإفكه

قال : إليك أشياء استدل بها العلماء على إجرام الوهابى وفسقه ومن تبعه .

أولا : أنه لا يتوسل بالنبي ولا بغيره ، بل يعتبر فاعل ذلك كافراً

أقول : لا ندري ما الذى قصده بالتوسل : إن قصد به توسل الصحابة ومن تبعهم بإحسان من القرون المفضلة الثلاثة ، وهو اتباع النبي ﷺ وحبه والعمل بشرعه ، فهذا هو التوسل الذى عاشت عليه القرون الثلاثة ، والمفضلة الذين أثنى عليهم رسول الله ، ووصفهم بخير القرون ؛ وحينئذ نطالبه بكلمة واحدة يثبتها لنا عن واحد منهم تخالف ما ذكرنا ، وتوافق توسله الذى أراده .

وإن قصد بالتوسل التوسل المبتدع الذى درجت عليه أكثرية الأمة بعد دخول الفتن عليها ، ولعبت اليهود بدينها ، ناشرين الطرق وعقائد الجهمية والأشعرية ، والتقليد

الأعمى ، وهو التوسل بجاه النبي وجاه السيدة خديجة ، وجاه البدوى ، والجيلانى ، والدسوقى ، والمرغنى ، والمهدى والختمى وسره ، فهذا توسل مبتدع ، أفسد المسلمين ، وجعل دينهم ملعبة ، إذ يعصى العاصى منهم ويرتكب كل كبيرة ثم يقول : يا ربي بجاه فلان وجاه فلانة اغفر لى واصفح عنى . فهذا توسل مناقض لقوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب : من يعمل سوءاً يجزَ به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً) (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)

ثم أيستطيع الحرازى المجهول أن يأتى بلفظ صحيح من صحابى أو تابع أو إمام متبع أنه استعمل لفظا من تلك الألفاظ المبتدعة المنكرة كما يستعملها سلف الحرازى ومعاصروه ؛ مع أن شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يقل ـ ولا أحد من أولاده وأحفاده المؤلفين ـ إن من توسل بهذا التوسل المبتدع يكون كافراً ، بل قالوا : إن هذا بدعة ، والبدعة بريد الكفر . وهذه كتبه وكتب أحفاده رحمهم الله فليأتنا بلفظ واحد منها يدعم ما ادعاه ، وإلا كان كاذبا أفاكا .

وصدق الشيخ رحمه الله تعالى وصدق أولاده فى أن هذا التوسل مبتدع لم يكن فى زمن الرسول ولا زمن أصحابه رضى الله عنهم، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار. بهذا حكم رسول الله ﷺ . ومن قال : إن فى البدعة حسنا مناقض لهذا الحكم النبوى الكريم ؟

ثانياً : قال الوهابى : إن العمامة نادى بها هامان، فلذا نهى من لبسها، مع أن النبي ﷺ لبسها طول حياته .

أقول : لا أدرى مَن هامان هذا الذى أمر بلبس العمامة فخالفه الشيخ محمد رحمه الله، ونهى عن لبسها ؟ وقد تصفحنا كتب الشيخ محمد وكتب أولاده وأحفاده فلم نجد ذكراً لهامان، ولا لأمره بلبس العمامة . وجزى الله الشيخ محمد خيرا إن صح عنه أنه أبطل سنة هامان .

والعمامة أيها الخاطىء، لبسها النبي ﷺ وتركها، ولم يثبت مداومته عليها إلا فى الأعياد ومقابلة الوفود، وهى على كل حال سنة عادية لا سنة عبادية يكون من تركها مخالفا للسنة . والشيخ وأولاده رحمهم الله لم يلزموا أحدا بزى مخصوص، فأين دعوى الحرازى المجهول ؟

ثالثاً : نهي الوهابي عن الصلاة على النبي ﷺ وهي ثابتة بنص القرآن

ولا ندرى أين وجد الحرازى الكذوب أن الشيخ محمد أو أولاده منعوا الصلاة على النبي ﷺ وهذه كتبهم طافحة مليئة بذكر النبي ﷺ ، ولا يذكر إلا مقرونا بالصلاة عليه والتسليم كلما ذكر ، بأبي هو وأمي ، والناس أجمعين .

وقد قدمنا أن الشيخ محمد رحمه الله مقلد مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، والصلاة على النبي فى الصلاة ركن من أركان الصلاة ، تبطل الصلاة بتركها ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون .

(لطيفة) لم أفرغ من كتابة السطر السابق لهذا وأنا تجاه الكعبة المعظمة إلا وسمعت تالياً يقرأ قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) فاستعذت بالله مطبقا الآية الكريمة على الحرازى الكذوب

رابعاً : أنه نبش قبور الصالحين وجعلها مواضع للتبول

ونقول: سيسأل الله ذلك المفترى عن تلك الفرية الخاطئة ، ثم نطالبه بقبر واحد من تلك القبور التي نبشها ، وجعلها لقضاء الحاجة .

خامساً : أنه أبطل الرواتب والأذكار ، ومنع قراءة السيرة النبوية

أقول : والشيخ محمد رحمه الله برىء من هذه الكذبة المفتراة عليه ، وإن وقع شىء منه فى ذلك فيكون مقتفياً فيه أثر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . وقد حكى عنه الشاطبى فى اعتصامه وابن الحاج فى مدخله وغيرهم : أنه رضى الله عنه قيل له : إن جماعة فى مسجد بالكوفة فى أيديهم حصا يذكرون به ، فهاجمهم وصاح فيهم : لقد فقتم أصحاب محمد علما ؛ إذ أتيتم بشىء لم يأتوه ، ثم فرقهم .

فإن وقع شىء من الشيخ محمد رحمه الله فيكون واقعاً منه على غرار ما فعله ذلك الصحابى العظيم رضى الله عنه . وهل هناك حرج أيها الحرازى فى تقليد ابن مسعود والعمل كعمله فى إزالة البدع المخالفة لما كان عليه الرعيل الأول ، وأنتم تجوزون تقليد آخر محشى عندكم على المزية وابن تركى وتعتبرون الأخذ بقول مقلديكم دينا ، فلمَ تجوزون لكم ما تعدونه ضلالا من غيركم ، وقد أخذ الغير عن صحابى جليل وشتان بين من قلد وقلدتم ؟

وإن الشيخ محمد ليبرأ إلى الله تعالى من منع قراءة سيرة النبي ﷺ وهو المؤلف فيها، وإني أتحدى الحرازي الجهول أن يذكر نقلا عن الشيخ رحمه الله يدعم قوله.

سادساً: عد الحرازي هنا من جرائم الوهابي ما ذكره الشيخ محمد في المقال الذي يلبسه أهل الحجاز، وهو لم يأت فيه بما يعد جرما، فلذا أعرضنا عن الاشتغال به.

سابعاً: أنه هدم آثار النبي وآثار أصحابه، وقباب الأولياء والصالحين، مع أن السلف الصالح قد تركوها.

فنقول لهذا الأفاك الأثيم: ما هي آثار النبي وآثار أصحابه التي هدمها الشيخ محمد رحمه الله؟ هل يستطيع أن يذكر لنا منها شيئاً يساوي الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ بيعة الشجرة بالحديبية، وسمى الله صلحها فتحاً مبينا؟ وقد حرقها عمر الفاروق رضي الله عنه حينما رأى الناس يتبركون بها، ولم يُبْقِ لها أثراً، وكان ذلك بحضر الصحابة الكرام، فلم يقم أحد منهم منكراً على عمر حرقها، ولم يقل له أحد: هذا تنقيص للنبي عليه السلام أو حط من كرامته أن تقطع أثراً من آثاره بل هو من أعظم آثاره.

وكما سبق أن قلنا حين حكى الحرازى أن الشيخ محمد منع الأذكار ـ قلنا: إن صح منه وقوع ذلك فيكون قد قلد ابن مسعود ـ فكذلك نقول هنا: إن وقع منه هدم لأثر أو قبة ولى أو صالح، فيكون مقتديا بالفاروق رضى الله عنه فى حرقه لأعظم أثر بويعت تحته بيعة الرضوان.

وأما هدم القباب أيها الأفاك، فالشيخ رحمه الله تبع فيه أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله، وقد أجمعت أقوالهم على إزالة ما بنى من قباب فى مقابر المسلمين المحبسة على موتاهم، فأين أنت من كتب الأئمة الأربعة. وقد أكرمنى الله تعالى بشرف هدم القباب سنة ٣٤٣ من البقيع وغيره بعد إخراج نصوص الأئمة الأربعة على وجوب ذلك، وعمدة الأئمة فيما قالوه حديث أبى الهياج رضى الله عنه الذى قال له على بن أبى طالب فيما رواه مسلم فى صحيحه «ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع قبراً مشرفا إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها» وأى قبة يا جهول أشد وثنية من قباب التوابيت المنتشرة فى أغلب بلاد الإسلام فى القارات اليابسة كلها، فاعقل إن كنت لا تعقل.

ثم أى سلف يا هـذا أبقوا القباب . وهـذا حديث أبى الهياج يرد عليك ويصك وجهك . وهو حديث كما رأيته فى غاية الوضوح والجلاء . اللهم إلا إن كان السلف الذين أشرت إليهم وقصدت أنهم أبقوا القباب سلفا من أسلافك ، لم يعرفوا الإسلام الذى عرفه السلف الصالح الذين عرفوا حديث أبى الهياج ، ووقفوا عنده ، ففتحوا الدنيـا وثلوا عروشها ، ودوخوا ملوكها ، فخلفتم بعدهم ، ورميتم بمـا كانوا عليه من عقيدة ، وما استمسكوا به من دين . فولت عزتـكم ، ووقعتم فى الخزى والهوان .

ثم هذا رسول الله ﷺ وهؤلاء أصحابه كانوا يفدونه بأرواحهم وأولادهم ، انتقل إلى الرفيق الأعلى ، فهل فكروا رضى الله عنهم فى إقامة أى بنيان عليه أو إقامة قبة ؟ حتى أوحى الشيطان إلى أوليائه ما أوحى ، فبنوا على حجرته الشريفة قبة ، فجزاهم الله بضيـاع ملـكهم . فهؤلاء أسلافك أيهـا الحرازى فروخ إبليس الموحى إلى أسلافك بعـد مضى أزمنة قرون الخير ، ودخول الدخلاء على الإسـلام من بقايا الفرس والهنادكة ، ففعلوا من القباب ما فعلوا .

ثامنا : عد الحرازى من إجرام الشيخ رحمه الله ضرب رقاب من نادى بالصلاة على النبي فوق المنارات .

أقول : وهـذا طبعاً يقصـد به الحرازى : الزيادة التى زيدت على الأذان الشرعى فى القرن السادس الهجرى من بعض ملوك الأكراد ، وأجبر العلماء على قبولها ، وتبعه عليها بعض الأقطار الشرقية ؛ ولم تعدم هذه البدعة من ينـكرها فى كل زمان ، وينبه على بدعيتها من علمـاء الشرق . أما البلاد المغربية فى سائر أقطار المغرب : مراكش والجزائر وتونس وطرابلس فلم تعرف تلك البدعة ، ولا فعلتها فوق منائرها إلى الآن ، فقد حماها الله تعالى من تلك الزيادة الشيطانية ، والبـدعة الإبليسية ، وبقى الأذان فيهـا على ما سنه رسول الله وتبعه عليـه أصحابه ، وتبعهم من بعـدهم إلى أن أوحى الشيطان تلك البـدعة فى القرن السادس إلى ذلك الملك الكردى ، فأمر بها بعـد رؤيا رآها بعض المشعوذين من صوفية الأكراد .

ثم ليقل لنا ذلك الحرازى المجهول : أىّ رقبة ضربت عند منع تلك الزيادة بعد الأذان الشرعى؟ وفى أى بلد من البـلاد

التى تشرفت بالحكم السعودى وفى دخلتهم المباركة لهذه البلاد المقدسة. وأنا مدرس بالمسجد النبوى الشريف ما هى إلا إشارة أشرت بها على أمير المدينة الأمير محمد بن عبد العزيز، إذ فتح المدينة مبيناً له حفظه الله بدعية هذه الزيادة فوق رأس رسول الله ﷺ؛ فاستشار العلماء فى كلامى، فأخبروه بمثل ما قلت له فمنعها، ونهى شيخ المؤذنين من فعلها، فأين الرقاب التى ضربت ياجهول، وسيسألك الله على افترائك، طهر الله الأرض منك.

تاسعاً: أن الوهابية هدموا المساجد: مسجد الجن ومسجد سيد الشهداء بالمدينة.

هذا كذب صراح، وجرأة فى الباطل، وزور وبهتان فهذا مسجد الجن قرب المعلا، وكان قد تولاه أهل الطريقة الدندراوية، يجتمعون فيه نابحين كالكلاب (أو أو أو) مدعين ذكر الله، منادين شيوخهم المقبورين، فمنعتهم الحكومة من عمل الشيطان هذا، ثم أمرت مدير الأوقاف العامة بإصلاح المساجد، هذا وأمثاله، فعمرت كلها، وهى تقام فيها الصلوات الخمس، لبعدها عن المسجد الحرام.

وأما مسجد سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه بسفح أحد : فإنه كان مبنياً على قبره رضي الله عنه ، وقبور من جاوره من الشهداء . وكان الناس يغشونه في ليالي رجب وشوال ، فيفعلون هنالك ما يندى له جبين الحر ، فكان قلب المسلم يذوب مما يراه ولا يستطيع إنكاره . فهدم المسجد بفتاوى العلماء . وهو مذهب السلف الصالح في حكم ما بني من المساجد على القبور . ابحث عن ذلك تعرفه إن أردت الحق .

***

ومن ص ٩ ـ ١٩ نعى على الوهابية عدم الاكتراث بالمذاهب ، ثم تبرع قائلا ناقلا عن إمام الوهابية الأول الإمام ابن القيم رحمه الله تطورات الشريعة بتطور الزمن واتساع ملك المسلمين . فظن ذلك الجهول أن الشريعة تتسع وتتطور باتساع مُلك المسلمين . والقارىء يرى في خلال كلامه مايدل دلالة صريحة بعد أن حرف كلام ابن القيم — بأن الأحكام النازلة من الله تعالى ، الحاكم بها نبيه ﷺ غير صالحة لكل زمان ومكان ، بل كلما تطور الزمن تتطور الأحكام ، وتؤول بما يناسب كل زمان .

ونقل من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى جمهرة كبيرة ظن أنها صالحة للاستدلال على ما أراده وهو خاطىء جهول، لايدرك معنى كلام ذلك الحبر رحمه الله.

ولقد قدمنا أن الوهابية على مذهب الإمام أحمد رحمه الله. وكل من دخل المحاكم السعودية يرى كتاب المقنع وكشاف القناع والمغنى أمام القاضى الذى أُمر بالحكم بما فيها، فلا حاجة لإعادة الرد على ذلك الحرازى الجهول.

ربِّ ـ وأنا بجوار بيتك العتيق وكعبتك المقدسة ـ أستمد فيضك، وأستنصرك وأستعينك. طالباً معونتك التى أعنت بها المجاهدين فى سبيلك، الذائدين عن دينك، رب وسيدى ومولاى ـ وأنا فى ذلك الجوار الأقدس، منتظراً صلاة جمعة التاسع من شهر صفر ـ أستهديك وأستعينك على ما أكتبه فى الذب عن الحق الأبلج، الذى أرسلت به رسلك، وأنزلت به كتبك، وخلقت الجنة والنار من أجله.

نعم، أستمدك المعونة رب. على قوم طغوا. بغوا. ظانين أنهم مسلمون، ولا والله ماهم بمسلمين. نعم. هم مسلمو الأقطار والأسماء والعمائم، والجبب والقفاطين، ولكنهم غير مسلمى

العقائد والقلوب ، بل هم أعداء الإسلام ، بل عداؤهم للإسلام أشد من عداء اليهود والنصارى له ، لأن اليهود والنصارى قالوا : إن الإسلام الذى ابتعثت به رسولك محمداً خاتم الأنبياء حق ، إلا أنه خاص بالعرب ، غير مخاطبين هم به ، وكذبوا (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا) وأما هؤلاء الأعداء الذين ترد عليهم بأنهم لم يؤمنوا بالإسلام الذى ابتعثت به رسولك خاتم أنبيائك محمداً ﷺ

وإليك ماهوّل به ذلك الحرازى فى (ص ١٩ ، ٢٠)

قال تحت عنوان (الحجاز والوهابية) اعتبار المسلمين قدسية الحجاز ، وطهره وفضله على بقاع الأرض كلها ، وإشراق نوره على الآفاق كلها - ختم ذلك المجهول صحيفة ١٩ بمضحكة إن دلت إنما تدل على جهله المركب وحمقه ، وكأنما ظفر حين ظفر بها بجوهرة فريدة زين بها وريقاته السافلة الخاطئة ، فكتب عن الشيخ محمد رحمه الله ما أداه إليه حنقه الشديد من الحط من كرامته ؛ معلناً عدم نضج الشيخ فى العلم . فنحمد الله إذ شهد للشيخ بالعلم ، إلا أنه لم ينضج فيه . وتلك نعمة كبرى منه على الشيخ إذ شهد له بشىء من العلم .

ثم قال : وكيف ينضج في العلم وقد نشأ على رءوس الجبال ـ إلى أن قال ـ والتجأ إلى أعراب نجد، ورعاع وديانها محط الزيغ والضلال ، وينبوع الفتن والجهل ، مصداق قول رسول الله ﷺ «اللهم بارك لنا فى شامنا ويمننا ، قالوا : وفى نجدنا؟ فقال: هنالك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»

هذا الحديث فى البخارى فى باب الفتن ، وقد استدل به الحرازى على أن ماقام به الشيخ محمد رحمه الله من دعوة الحق مجدداً دين محمد ﷺ الذي فهمه استودرس الأمريكى ولم يفهمه هذا الحرازى ثم استدل الحرازى على أن دعوة الإسلام التى قامت من نجد هى الفتن التى جاءت فى الحديث المذكور .

مهلا أيها الحرازى ، فإنك لو كنت ممن يشرب من حياض العلم الصحيح ، وتلقيته من أهله ، لعلمت خطأك الفاضح فى فهم هذا الحديث ، وتطبيقه على ماظننته فتنا أتى بها المجدد رحمه الله .

وهذا الحجة إمام الحديث ، وحافظ عصره : الإمام أحمد ابن حجر العسقلانى شيخ إسلام مصر وقاضيها ، يقول فى

شرح هذا الحديث : وقد قصد الرسول عليه الصلاة والسلام بإشارته إلى نجد أقاصيها ، وهى نجد العراق التى ذرت منها قرون الشيطان ، وظهرت فيها رءوس الفتن المدلهمة ، كالخوارج والمعتزلة والرافضة والكرامية والأشعرية ، وغيرها من الفتن التى لم يزل شرارها يتطاير قاضياً على الإسلام ، بل كان السبب الأكبر فى زلزلة الدين ، ومحو محاسنه .

إلى أن قال : ولم يقصد الرسول ﷺ نجد الحجاز التى لم يظهر بها إلا فتنة مسيلمة لعنه الله ، وقد قضى عليها جيش الصديق أبو بكر رضى الله عنه .

ومن أراد استيفاء هذا البحث فلينظر (فتح البارى باب الفتن)

فهذا ابن حجر إمام الشافعية ياحرازى يصك وجهك ويصفع قفاك ، ويضرب بهذا الخنجر المسموم فى قلبك ، فما أنت قائل بعد يا ترى ؟ !

ولنعد إلى الحرازى وتخبطه السابق بعنوان (الحجاز والوهابية) فبعد أن ساق ماذكر من قدسية الحجاز وانبلاج نوره على الآفاق ، رجع فاعتبر أن دعوة الشيخ محمد إنما هى

من آثار دول الغرب ، الذين لم يبرحوا أن يبدلوا أوضاع الدين في الحجاز ، فكانوا كل حين يسعون في إلقاء بذور الفتن في الحجاز ؛ ليبدلوا معالم الدين ، حتى ظفروا بهذا السهم القاتل دين الإسلام المنتشر في ربوع الحجاز وكان هذا السهم لدى الحرازى هو فتنة الوهابية ، تلك الفتنة التى شبت هوجاء عوجاء على الرعاع والأوباش من جزيرة العرب — إلى أن قال داعياً : اللهم إن الإسلام في بلد ميلاد نبي الإسلام ، فاحمى اللهم الإسلام بعد موت صاحبه عليه السلام .

ونحمد الله كثيراً هنا على إقرار الحرازى بموت نبي الإسلام ، ولم ينكر موته كما أنكره إخوانه ، كما هو مصرح به في كتبهم الطافحة بذلك .

فهاهو الحرازى الجاهل أيها المسلمون ، يعتقد اعتقاداً جازماً بأن دعوة الشيخ محمد التى جدد بها دين الرسول فتنة غربية ، كيد بها للإسلام في مهبط الإسلام . وكأني به إن أحياه الله إلى أن يقرأ ما كتبناه هنا — لا أحياه الله ، وعجل به إلى سقر — يقول : إن كاتب هذه السطور سلم لى هذه النظرية بما ساق من كلام استورس الأمريكى .

فأقول له : إن من مصيبة المسلمين أن يغطى عليهم دينهم ، فلا يفرقون بين حقه وباطله ، وهداه وضلاله ، ونوره وظلمته ، وصدق الفاروق رضى الله عنه إذ قال : « ستنقض عُرى الإسلام عروة عروة ، فقيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إذا ظهر فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية الأولى .

صدق عمر رضى الله عنه ؛ إذ أصبح كثير من علماء المسلمين لا يفرقون بين الجاهلية الأولى والإسلام ، فمت كمداً أيها الحرازى الجاهل الجاحد أن بارك الله فى تلك الدعوة الإسلامية الصحيحة ، حتى انتشر نورها من هضبات نجد ، وانبثق من وديانها إلى الحجاز المقدس . وها هو حفيده الشيخ عبد الله بن حسن رئيس قضاة المملكة العربيـة السعودية ، وولده الصالح الشاب التقى عبد العزيز خطيب المسجد المكى الحرام وإمامه ، بل وها هو عالم نجد ، وعلمها الفرد ، وأستاذها الفذ فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف قائم بالدعوة خير قيام ، وكذلك أخواه فضيلة الشيخ عبد اللطيف مدير المعهد العلمى وفضيلة الأستاذ

عبد الملك ، وأنجال كل ، وكذلك فضيلة المجاهد فى الله الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ ، كلهم قائمون بالدعوة خير قيام ، بارك الله فيهم ورضى عنهم . وكذلك على غرارهم سعادة العلامة السيد محمد نصيف ، فإنه بارك الله فيه قائم بالدعوة خير قيام بماله وعلمه .

بل ها هى الدعوة الطيبة المباركة انتشرت من شمال الجزيرة إلى جنوبها ، ومن شمالها إلى غربها ، بل تعدت البحار مغربة إلى مصر والسودان يدعو إليها جماعة أنصار السنة المحمدية رضى الله عنهم ، بل تعدت الشلالات من أعالى الصعيد ، فأنارت سودانكم المظلم ، فالدعوة فيه منتشره ، ومن قريب تقضى على المهدوية والختمية والرشيدية ، إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا

ثم ذكر الحرازى تحت عنوان (فضيحة الوهابى فى تكفيره المسلمين) فصلا ، إن دل على شىء فإنما يدل دلالة واضحة جلية على تعمقه فى الجهل ، وخوضه فى ظلماته المتتابعة وذلك بخذلان من الله له ؛ حيث لم يوفقه ويلطف به فيما

أراده من رد الحق المبين ، الذى انتصب للدعوة إليه شيخ إسلام القرن الثانى عشر محمد بن عبد الوهاب رضى الله عنه مجدد ما اخلولق من محاسن دين الإسلام . وقد هول فى العنوان تهويل من لم يخش الله ، ليثير المسلمين ضد تلك العقيدة التى جاهد فيها رسل الله من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد عليهم السلام . فقال عليه من الله ما يستحق :

ثم لم يبال الوهابي الأكبر فى تكفيره المسلمين الذين يقولون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، إذا دعوا غائبا ، أو نادوا ميتاً ، أو نذروا له ، أو ذبحوا لغير الله ، أو تمسحوا بقبر ، وأخذوا من ترابه . إلى آخر ما أملاه عليه جهله الفاضح .

أقول : صدق الفاروق « فيما قاله ستنقض عُرى الإسلام عروة عروة الخ » وهذا المجهول الحرازي له العذر ، إذ اعتبر أن ذلك من الشيخ محمد تكفير للمسلمين ، لأنه ـ أى الحرازى ـ لا يعرف من الإسلام ما يكفر ، وما لا يكفر .

وقبل أن نبين جهله المركب مفندين مفترياته ، رادين مخزياته ، نسأله ـ بل نسأل العلماء ـ كافة عن معنى قول الله تعالى فى سورة الرعد من كتابه الكريم (له دعوة الحق ،

والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه . وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) وقوله في سورة فاطر (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقوله تعالى في سورة الأحقاف (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) .

فهذه ثلاث آيات أيها القوم الذين يعقلون ، ينعى الله تعالى فيها نعياً صريحاً جلياً واضحاً ، على من يدعو غيره تعالى كائنا من كان ذلك المدعو ، أو ينادي حياً غائباً ، أو ميتاً مقبوراً ، كائناً من كان ذلك الحي الغائب ، أو الميت المقبور بالكفر والشرك ، وإثبات العبادة إثباتا واضحاً بمثل ذلك الدعاء . ومثل تلك الآيات آلاف الآيات في الكتاب العزيز حرفها تأويل التقليد ، وغطاها ما صار إليه الناس من اتباع الآباء والأجداد .

نعم ، مثلها آلاف الآيات فى كتاب ربنا النازل على نبينا محمد ﷺ وقد فهم معناها الصحابة رضى الله عنهم ، ومن تبعهم من قرون الخير ، فلم يُرْوَ عن أحد من علمائهم ولا أحد من جهالهم أنه نادى ميتاً أو دعا نبياً أو ولياً . ومن شك فى ذلك فلينقل لنا نقلا واحداً صحيحاً ضد ما كتبناه . ومن كابر وعاند ، وأبى إلا تأييد ما أوحاه الشيطان إلى قرون الشر التى أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ بعد قرون الخير التى ذكرنا ، فليضرب الصخور برأسه ماشاء ، مدمياً رأسه كاسراً قرنه ، وليبق فى شركه وكفره اللذين حكم الله تعالى عليه بهما فيما ذكرناه من آيات ، ناعقاً ماشاء ، مهوشاً ماشاء ؛ فإن الحق حق وإن لم يتبعه أحد ، والباطل باطل ولو تبعه الناس كلهم . ولا ينقل الحق عن أحقيته عدم معرفة الخلق له ، ولا يحق الباطل اتباع الناس له (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، (وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون)

والآيات كثيرة فى القرآن المجيد تنص نصاً واضحاً جلياً : أن الحق مع القليل ، والباطل مع الكثير ، فى كل زمان

ومكان . ولذلك كان فاروق الأمة رضى الله عنه إذا قرأ قوله تعالى (وقليل من عبادى الشكور) يقول : « اللهم اجعلنى من القليل ».

ومن عرف أحوال الرسل مع أممهم يعرف هذا جيداً ، فهذا نوح عليه السلام مكث يدعو ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا قليل . وهذا هود قال له قومه (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) مثل ما يقول أهل طواغيت القباب الآن : خف البدوى يطقك ، خف صاحب القبة يدقك . فرد عليهم عليه السلام قال (أشهد الله ، واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه ، فكيدونى جميعاً ثم لا تُنظرون . إنى توكلت على الله ربي وربكم) أفرده بالعبادة التى أمرنى بها تعالى ، رامياً آلهتكم التى هى كآلهة الحرازى التى تخوفونى بها تحت قدمى ، داعياً إلى عبادة الله وحده

والعجب العجاب أيها القوم الذين يعقلون ، أن الحرازى إذ لم يخف الله تعالى لم يرعو ، ولم يحسب حساباً لانتقاد من يعقل فيما نقله فى فصله هذا ، حيث يقرر فيه أن الشيخ محمداً رحمه الله يكفر المسلمين . والحرازى مسكين إذ لم يوفق

إلى الفهم عن الله ، فيعرف ما يكفر وما لا يكفر . ولهذا لم يعرف مَن الذين كفرهم الشيخ محمد رحمه الله ، فإنما كفَّر تبعاً للقرآن من دعا غائباً أو ميتاً ، أو نذر لقبر ، أو ذبح لغير الله وقد قدمنا لك أيها المنصف في صدر هذا البحث ثلاث آيات ، ومثلها كثير وكلها يشهد للشيخ محمد ، وصدق ما يدعو إليه .

وإليك أيها المسلم الأدلة على كفر وشرك من ذبح لغير الله تعالى . قال جل من قائل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه لفسق ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) واتل بعدها أيها المسلم ، واحكم بيننا وبينه . قول الله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من والأنعام نصيباً . فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون) .

ثم نسأل من يعقل من أهل العلم عن معنى قوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) فهل يجد من يفهم استثناء من هذا القول العام يختص به الحرازي آلهته

طواغيت قبابه ، حتى يكون موفقا فيما حكم به على الشيخ محمد رحمه الله من أنه كفر المسلمين .

ثم قال الحرازى (ص ٢٠) :

« وقد قال (يعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب) أنه أخذ هذه الأحكام (يعنى الحكم بالكفر والشرك على من دعا غير الله ، ونادى مقبوراً ، وذبح لغير الله) أخذ كل هذا من حجة الله على المسلمين الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وروح أرواحهما فى الفردوس الأعلى ، حيث ظن ابن عبد الوهاب أنهما إنما قالا : من فعل ذلك يكون مشركا شركا أكبر ، وفاته أنهما إنما قالا : إن فاعل ذلك مشرك شرك أصغر » .

أقول : ونحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه كما يليق بجلاله سبحانه ، إذ خلص الإمام ابن تيمية من مخالب هذا الحرازى فلم ينله بسوء ، بل تركه محتجاً بقوله على المجدد ابن عبد الوهاب . وزعم المجهول أن المراد بالشرك فى كلام ابن تيمية الشرك الأصغر . وهذا كذب وزور من ذلك المجهول ، فإن جهاد ابن تيمية معلوم ، وكتبه مملوءة بأقواله

فى الحكم بالكفر على من دعا غائباً لا يسمعه عادة، أو ميتاً: نبياً أو ولياً. وسننقل لك جمهرة كبيرة من كتبه تنص نصا صريحاً على ذلك. وأن مجدد القرن الثانى عشر إنما أخذ كلام الإمام ابن تيمية، مؤيداً به دعواه، وكذا كلام ابن القيم وإخوانه من تلاميذ الإمام، ولم يكن ابن عبد الوهاب مقلداً ابن تيمية فيما نقله عنه تقليداً أعمى كهذا الحرازى الذى ينقل كلام الله ورسوله، ولا يعرف معناه، ولا المراد منه بل إن ابن عبد الوهاب كان يعتمد فى أحكامه على كلام الله، كما أسلفنا الآيات الناصة على شرك وكفر من دعا غير الله من غائب لا يسمعه، أو ميت: نبى أو ولى. ولا يجوز خطاب ميت إلا بالسلام عليه، كما وردت به السنة الصحيحة، وهذا زمن الصحابة مضى. وقد دفنوا نبيهم ﷺ وزمن تابعيهم وتابع تابعيهم، فهل نقل عن أحد منهم أنه فعل ما يفعله الماتفون الآن وقبل الآن بالنداء والدعاء والاستغاثات ؟. وحتى قبل دفنه صلى الله عليه وسلم - بأبى وأمى - حينما فاضت روحه الشريفة إلى الرفيق الأعلى، وتركوه مسجى واشتغلوا فى إقامة خليفة، وقد وصلوا إلى حالة من الشجار

والاختلاف إلى درجة كاد أن يستعمل فيها الحسام . فإذا كان ما يدعيه الحرازى صحيحاً فلماذا لم يفكروا فى الذهاب إلى النبي ﷺ وهو لم يدفن بعد ، راجين منه إظهار الحق والنص على من يصلح للخلافة ، أو طالبين منه أن يدعو الله لهم ينقذهم مما هم فيه ، بل بقوا على حالتهم هذه حتى ألهم الله الفاروق رضى الله عنه ، طالباً من الصديق مدّ يده فمدها ، فبايعه الفاروق ، فتتابع النـاس على البيعة ، فتمت ولله الحمد بفضل الله ورحمته ، ولم يفكر أحد منهم كما قلنا فيما فكر فيه الحرازى وحزبه الضالون .

فمن عذيرى من قوم لم يفقهوا دينهم . وقد وصل الغرب إلى صنع القنبلة الذرية ، وهم يريدون من المسلمين أن يبقوا على ما كان عليه الآباء الأقدمون ، متعلقين بالأموات يهتفون بقبورهم ، طائفين بها عاكفين عليها ، فإنا لله .

وقبل أن نختم هذا الفصل ننقل من كلام الإمام ابن تيمية وتلاميذه ، ناسبين كل قول لصاحبه ، فيرى الحرازى صدق ابن عبد الوهاب فيما نقل عنهم ، وأنه لم يخطىء حيث نقل عنهم أن من دعا ميتاً كائنامن كان يكون مشركاً شركاً أكبر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة فى هذه الأزمنة قد يمرق أيضاً من الإسلام لأسباب . منها : الغلو فى بعض المشايخ، بل الغلو فى على بن أبى طالب - إلى أن قال - فكل من غلا فى نبي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يقول : ياسيدى فلان انصرنى ، أو أغثنى ، أو ارزقنى ، أو أنا فى حسبك ، ونحو هذه الأقوال : فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه ، فإن تاب ، وإلا قتل ، فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ، ولا يُدعى معه إله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخري، كالمسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق ، أو تنزل المطر ، أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم ، ويعبدون قبورهم ، أو يعبدون صورهم يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ويقولون (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله تعالى رسله تنهي عن أن يدعى أحد من دونه ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة انتهى كلامه بنصه .

ونرى أن من الواجب علينا أن نوضح للحرازى قول الإمام هنا « لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة » أى : دعاء مسألة ، مثل قولك : يا الله ، بدون طلب فإن هذا دعاء عبادة وقولك : ياالله أغثنى ، أو اشفنى أو خلصنى ، فإنه دعاء مسألة .

وبناء عليه : فقول الحرازى وسلفه ومن شاكله : يارسول الله ، يامرغنى ، يا رشيدى ، يا دندراوى ، فإنه دعاء عبادة ، وأما إن نادى واحداً منهم طالبا منه قضاء حاجة ، فإنه يكون دعاء مسألة . وهـذان النوعان لا يليقان إلا بالله وحـده سبحانه لا شريك له .

فهذا كلام ابن تيمية الذى أنكرته على ابن عبد الوهاب ، وقلت : إنه أخطأ فى نقله عنه ، فما رأيك ؟

وقال أيضا الإمام ابن تيمية : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ، ويدعوهم ويسألهم : كفر إجماعا . نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الإنصاف ، وصاحب الاقناع وغيرهم . وهؤلاء أيها الحرازى من كبار مؤلفى الحنابلة الذين قلت : إن ابن عبد الوهاب خالفهم مكفراً من قال : لا إله إلا الله ، واعتبرته جاهلا لم ينضج فى العلم ، مخالفا الإجماع .

وقال ابن القيم :

ومن أنواعه ـ أعنى الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم . وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا عمن استغاث به ، أو سأله أن يشفع له عند الله تعالى . وهذا من جهله بالشافع والمشفوع إليه .

وإن لم تكفك هذه النقول الصريحة عن ابن تيمية وابن القيم ، مؤيدة ما خطأت به ابن عبد الوهاب ، فهاك نقولا جلية واضحة من معتبرات كتب الحنفية ، وغيرهم من أهل المذاهب الأربعة المتبعة ، مؤيدة لابن عبد الوهاب لتعرف أن المسألة التى هوّلت بها على ابن عبد الوهاب مسألة إجماعية ، أجمع عليها السلف والخلف .

وفى الفتاوى البزازية — وهى من أمهات كتب الفتوى عند الحنفية — قال : قال علماؤنا : من قال : أرواح المشايخ حاضرة تعلم : كفر .

وقال صنع الله الحلبى الحنفي فى كتابه : من ادعى أن للأولياء تصرفا فى الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة :

كفر إجماعا . وقد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم و بعد مماتهم ، ويستغاث بهم فى الشدائد والبليات ، وبهممهم تكشف الملمات ، فيأتون قبورهم ، وينادونهم فى قضاء الحاجات ، مستدلين أن ذلك منهم كرامات . وقالوا : منهم أبدال و نقباء وأوتاد ونجباء ، وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس ، وعليه المدار بلا التباس ، وجوزوا لهم الذبائح والنذور ، وأثبتوا لهم فيها الأجور .

قال رحمه الله : وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدى ، والعذاب السرمدى ؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما أجمعت عليه الأمة ، ففى التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ، و نصله جهنم ، وساءت مصيراً) .

ثم قال رحمه الله : فأما قولهم : إن للأولياء تصرفات فى حياتهم وبعد الممات ، فيرده قوله تعالى (أ إله مع الله ؟) ، (ألا له الخلق والأمر) ، (ولله ملك السموات والأرض) ونحوها

من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا، وإحياء وإماتة وخلقا، وتمدح الرب تعالى بانفراده بملكه في آيات من كتابه كقوله (هل من خالق غير الله؟)، (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير. إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير) وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى.

ثم قال رحمه الله تعالى: فقوله في الآيات كلها (من دونه) أي من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقدت: من ولي وشيطان تستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره — إلى أن قال: إن هذا القول وخيم، وشرك عظيم.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة. قال جل ذكره (إنك ميت، وإنهم ميتون) ثم ساق آيات كثيرة أردفها رحمه الله بحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث - الحديث»

فجميع ذلك دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وأن أرواحهم ممسكة ، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف فى ذاته ، فضلا عن غيره . فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف فى غيره . فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون : إن الأرواح مطلقة متصرفة (قل : أأنتم أعلم أم الله؟) .

قال : وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة ؛ لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به أولياءه ، لا قصد لهم فيه ولا تحدى ، ولا قدرة ولا علم ، كما فى قصة مريم بنت عمران ، وأسيد بن حضير ، وأبي مسلم الخولانى

قال : وأما قولهم فيستغاث بهم فى الشدائد . فهذا أقبح مما قبله وأبدع ؛ لمصادمته قوله جل ذكره (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون)(قل : من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل : الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم

تشركون) وذكر آيات فى هذا المعنى .

ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه كاشف للضر لا غيره ، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين ، وأنه المستغاث لذلك كله ، وأنه القادر على دفع الضر ، القادر على إيصال الخير ، فهو المنفرد بذلك كله ، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره : من ملك ونبي ، وولى .

قال : والاستغاثة تجوز فى الأسباب المادية الظاهرة من الأمور الحسية : فى قتال ، أو إدراك عدو ، أو سبع ، أو نحوه كقولهم : يا لزيد ، ويا للمسلمين ، بحسب الأفعال الظاهرة . وأما الاستغاثة فى الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق ، والضيق ، والفقر ، وطلب الرزق ، ونحوه . فمن خصائص الله ، لايطلب فيها غيره .

قال : وأما كونهم معتقدين التأثير منهم فى قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال ، وينادونهم ، ويستنجدون بهم . فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد أن لغير الله تعالى ـ من نبي أو ولى أو روح أو غير ذلك ـ فى كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً : فقد وقع فى وادى جهل

خطير؛ فهو على شفا حفرة من السعير - إلى أن قال رحمه الله:

وأما ما قالوا: إن منهم أبدالا ونقباء، وأوتاداً ونجباء وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، فهذا من موضوعات إفكهم كما ذكره القاضي المحدث في سراج المريدين، وابن الجوزي وابن تيمية. اه

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري شيخ المفسرين في تفسير قوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) في هذه الآية يقول جل ذكره: ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك ولا يضرك في الدنيا والآخرة، لا في دين ولا في دنيا. يعني بذلك: الآلهة والأصنام يقول تعالى: لا تعبدها راجياً نفعها، أو خائفاً ضرها، فإنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله (فإنك إذاً من الظالمين) يقول تعالى: من المشركين بالله، الظالم لنفسه

ففي هذه الآية وأمثالها أيها الحرازي الجاهل بيان أن كل مدعو يكون إلهاً، والإلهية حق لله تعالى، لا يصلح منها شيء لغيره، فتدبر إن كنت ممن يعقل.

فها نحن أريناك أيها الحرازى المجهول جمهرة كبيرة من كلام الإمام ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن جرير ، والفتاوى البزازية ، وكلام الشيخ صنع الله الحنفى الحلبى ، وابن الجوزى كلهم ـ من الخلف والسلف ـ أطبقوا واتفقوا على ما لمزت به ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، مجدداً ما درسه أسلافك السبكيون ، من أنه قلد ابن تيمية وابن القيم تقليداً خاطئاً . فما ظنك أيها البطل فى ضلالك ، ولو شئنا أن ننقل لك فى هذا المعنى ما نقله أئمة التفسير ، كالإمام القرطبى وابن كثير ، وغيرهم لطال بنا المدى ، ولم تتحمله هذه العجالة .

ثم لا حاجة إلى الإطالة فيما كتبه الحرازى فى بقية كتابه المهزوم المقصوم ؛ إذ خبط فيما كتب خبط عشواء ، وخط سواده فى صحف مظلمة سوداء ، فتكلم على التوسل البدعى ، مستدلا عليه بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وحضرته يرى أن نداء الأموات وطلب الحوائج منهم هو التوسل ، فاستدلاله بالآية يوضح بجلاء : أن الأموات يعاونون الأحياء المتوسلين بهم على حاجاتهم ، ولبئس هذا الاستدلال بالآية الكريمة . ثم عطف على الآية الكريمة قوله

« والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » عطفه قائلا « قال تعالى » فظنه آية قرآنية . فعجباً لشهادة العلم التى يحملها ؛ إذ لم يفرق بين الآية الكريمة والحديث النبوى ، فعطفه عليها . فرجل كهذا يدعى أنه عالم كيف تقبله معارف السودان مدرساً بمدارسها وما قيمة تآليفه التى يضعها فى مثل هذه المواضيع الدقيقة ؟

ثم ذكر فى بقية صحفه المهزومة حديث الأعمى ، وحديث « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك » للخارج من بيته إلى المسجد للصلاة . وبنى على حديث الأعمى المزيف طلب الشفاعة من النبى ﷺ ومن غيره من أصحاب القبور ، وقد تقدم لك أيها الفطن اللبيب كثير من كلام أئمة الدين ـ قديماً وحديثاً ، سلفاً وخلفاً ـ بأن الطلب من الغائبين والميتين ـ كائنين من كانوا ـ شرك وكفر وضلال مبين .

وإنا نتوجه إلى نقض حديث الأعمى الذى تمكز عليه مسوّداً به صحفه ، فإذا رأى العلماء الراسخون الذين يعقلون ماقيل فى هذا الحديث سنداً ومتناً ، وأنه لا وجود له ، علم حقاً بطلان كل ماصنف من كتب فى هذا الحديث ، وكل

ما اعتمد عليه فى تأصيل ما أصله المصححون له . وبه إن شاء الله تعالى نختم بحثنا مع هذا الحرازى المهزوم

قال الناقدون المبطلون لهذا الحديث الأعمى متنا وسنداً : فالتوسل والسؤال بحق فلان وكرامته وحرمته ، أو بالذات أو بالجاه، أونحو ذلك من الأمور المبتدعة المحدثة فى الإسلام التى ابتدعها وأحدثها الجهال الأغبياء ، والعوام الذين يجهلون مواقع الكلام وأساليبه ، والذين يجهلون حقائق ماجاء به النبيون والمرسلون . أما دين الله الحق فبعيد عن هذا الهراء كل البعد ، منزه عنه وعن قائليه ومنتحليه كل التنزيه ؛ ولهذا لم يجيء شيء منه فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله الصحيحة الثابتة ، ولا جاء عن أحد الأصحاب سند ثابت صحيح ، ولا عن أحد من الأئمة العارفين دين الله حق المعرفة ولو أنك فليت كتاب الله تعالى حرفا حرفا ، وفليت السنة الصحيحة حديثا حديثا ، ورواية رواية ، لما وجدت أن أحدا من أنبياء الله ، أو من عباده الصالحين الأبرار ، أو من غيرهم سأل الله بحق مخلوق أو بجاهه أو بحرمته ، أو بكرامته أو ببركته ، وإنما نجد عباد الله الصالحين من

الأنبياء فمن دونهم يدعون ربهم ويسألونه وحده بلا واسطة ولا وسيلة، سوى إيمانهم وتقاهم وأعمالهم الصالحة المبرورة. وهذا بين واضح، وهذا ما نص الله عليه فى كتابه بقوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ولم يقل ادعوه بجاه فلان أو كرامة فلانة، أو بحق محمد، أو حرمة إبراهيم مثلا، بل قال ادعوه بأسمائه الحسنى، وصفاته، وعباد الله يدعون الله دون سواه، لايدعون بسوى ذاته وصفاته وأفعاله

وهنا شبهة تعلق بها المتهوسون، وافتتن بها المضللون وهى حديث الأعمى المشهور، فسنذكر رواته، وما ذكره العلماء فيما جاء فيه وفيمن رواه، ونختم هذا بأصح ما قيل فى سنده ومتنه ومعناه؛ عسى أن يكون هذا خاتمة الكلام على هذا الحديث لا سيما فى هذا الزمن المادى البحت، الذي استطاع فيه الغرب صنع القنبلة الذرية، فيترك المسلمون ما تعلقوا به من أوهام، وماافتتنوا به من ضلالات مخزيات، وحكايات وترهات.

(تحقيق ما قيل فى حديث الأعمى)

قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه من أبواب الدعوات :

حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبى جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف « أن رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال : ادع الله أن يعافينى ، قال : إن شئت دعوتُ ، وإن شئت صبرتَ، فهو خير لك ، قال فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ وأن يحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي فى حاجتى هذه لتُقضى ، اللهم شفعه فىّ » هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبى جعفر ، وهو غير الخطمى . هذا لفظ الترمذى .

وقال ابن ماجة من سننه فى باب ماجاء فى صلاة الحاجة :

حدثنا أحمد بن منصور بن سيار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبى جعفر المدنى عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف « أن رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ »

وذكر الحديث كما ذكره الترمذى إلا أنه قال فيه : «فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين» . ورواية الترمذي ليس فيها ذكر صلاة الركعتين .

وقال ابن السنى فى كتاب «عمل اليوم والليلة» أخبرنى أبو عروبة حدثنا العباس بن فرح الرياشى والحسين بن يحيي الثورى قالا : حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد قال: حدثنى أبي، عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدنى -وهو الخطمى- عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال : «سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير ،فشكا إليه ذهاب بصره، فقال رسول الله: ألا تصبر ؟ قال: يارسول الله ، ليس لى قائد وقد شق علىّ ، فقال رسول الله ﷺ ائت الميضأة فتوضأ وصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ ، يا نبي الرحمة ، يا محمد ، إنى أتوجه بك إلى ربى عز وجل فتجلى عن بصرى . اللهم شفعه فىّ ، وشفعنى فى نفسى » قال عثمان : وما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن ضريراً قط .

ورواه الإمام أحمد فى المسند من حديث روح بن عبادة

عن شعبة عن أبي جعفر المدنى عن عمارة بن خزيمة عن عثمان ابن حنيف — الحديث . وفيه ذكر الصلاة والدعاء ، وقال فى آخره « وتشفعنى فيه وتشفعه فىّ » وفى آخره « ففعل الرجل فبرأ » وروى الحديث أيضاً البيهقى فى دلائل النبوة ، والحاكم فى المستدرك ، والطبرانى فى المعجم .

ورواه آخرون من أصحاب السنن والمسانيد والمعجزات غير أن صاحبي الصحيحين ـ البخارى ومسلما ـ أعرضا عنه ، ولم يروياه .

وهذا الحديث من شبهات القوم وحججهم على باطلهم ، وعلى جواز دعوة الأموات والاستغاثة بهم ، وعلى جواز التوسل والسؤال بذوات الأنبياء وذوات الصالحين ، وعلى جواز كل ما يأتون به حول القبور من الضلالات والجهالات .

أما استدلالهم به على دعاء غير الله من الأموات والغائبين : فمن أمر النبى ﷺ ذلك الضرير بعد الوضوء والصلاة أن يدعو وأن يقول فى دعائه « يا محمد ، إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى »

وأما استدلالهم به على جواز التوسل والسؤال بالذوات

والأنبياء والصالحين والميتين : فمن أمره الضرير أن يقول فى دعائه « وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة . يا محمد ، إني توجهت بك إلى ربى » فى قوله « يا محمد » جواز دعوة الغائبين ؛ لأن الرسول أمره أن يدعو بهذا الدعاء ، وهو عنه غائب ، وإذا جاز دعاء الغائبين جاز دعاء الميتين .

وفى قوله « أتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة . إني توجهت بك إلى ربى » جواز السؤال بمحمد ﷺ ، وإذا جاز السؤال به جاز السؤال بذاته وحقه وجاهه وحرمته وكرامته ، وإذا جاز التوسل والسؤال بهذا كله من النبي ﷺ جاز السؤال بغيره من الأنبياء والصالحين ، ولا فرق .

قالوا : فالحديث دليل واضح ناطق ، وبرهان قائم جلى على جواز دعاء الأموات من الأنبياء والصالحين ، وعلى جواز السؤال والتوسل بهم ، وبذواتهم ، وحقوقهم وحرماتهم وكراماتهم ، فالذين يمنعون شيئاً من ذلك مخالفون لهذا الحديث محجوجون به بلا ريب ولا مرية .

قالوا : والحديث رواه جماعة من أئمة الحديث والفقه والتفسير والدين ، وعدوه من معجزات النبي ﷺ وكراماته

على ربه ، وقد صححوه ووضعوه فى كتب جيدة محترمة ، سامية المكانة والشأن بين كتب الحديث والدين والسنة ، ودواوين الإسلام . وقد تلقاه المسلمون عنهم فى كل العصور بالقبول والرضا والاطمئنان ، والثقة البالغة ، وقد عمل به وعا فيه طوائف منهم من السلف والخلف .

كل هذا قد كان ووقع ، وما قام هنا اعتراض ، ولا ارتفع صوت بالانكار والنقد ، ولا قال لهم قائل : إنكم خالفتم الإسلام أو أشركتم ، أو ابتدعتم ، أو فعلتم ما تأباه روح الدين أو نصوصه ، ولا قدر صيرفى من صيارفة الحديث ، ولا فارس من فرسانه أن يطعن فيه سنداً ولا متناً ومعنى . وقد مضى عليه من الزمان ما يقارب ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن والألسنة تدرسه ، والقلوب تعيه وتعقله ، والدواوين تحفظه ، والمسلمون مجمعون على صحته ، راضون به كل الرضا ، فكيف يسوغ أن يشك فى مثل هذا ؟ .

هذا كل ما يمكن أن يقوله المستدلون بالحديث على ما هم فيه من باطل وجهل وضلال . والجواب أن يقال : إن الجواب على الحديث من ناحيتين : ناحية الإسناد ، وناحية المعنى .

فإذا صح الإسناد وكان المعنى فى متنه ولفظه ما ذكروه ، قامت حجتهم ، ونهضت دعوام ، وإلا فلا . ونحن نورد مانستطيع من الكلام فى الناحيتين

إسناد الحديث

أما الإسناد : فهو أول مايجب أن يكون الكلام فيه فإن الاعتقاد وأمره أغلا ماعند المؤمن ، فلا يجوز والحالة هذه أن يتركه عرضة للأخطاء ، ولا أن يدعه فى مهاب الرياح فلا جرم أن وجب على العاقل أن لايعتقد إلا ماكان صحيحاً ثابتاً . أما الضعيف والباطل فلا يحسن بمن لا يرضى لنفسه ولدينه وعقيدته إلا الصحيح القوى ، أن يعبأ به ، وأن يقيم له وزنا . وإسناد هذا الحديث فى جميع طرقه عند جميع رواته قد انفرد به راوٍ واحد . هذا الراوي هو أبو جعفر الذى رواه عنه شعبة عند ابن ماجة والترمذى وأحمد ، والذى رواه عند هؤلاء الثلاثة عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، وقد قال أبو عيسى الترمذى كما تقدم بعد روايته الحديث : غريب لانعرفه إلا من حديث أبى جعفر .

أما الذين رووه عن أبي جعفر هذا فشعبه عند الترمذى وابن ماجة وأحمد . وروح بن القاسم عنـد ابن السنى وعند البيهق والحاكم . ورواه عن شعبة عثمان بن عمر عند الترمذى وابن ماجة . وروح بن عبادة عند أحمد والبيهقي . ورواه عن روح بن القاسم : شبيب بن سعيد عند ابن السنى ، ورواه عن عثمان بن عمر محمود بن غيلان عنـد الترمذى ، وأحمد ابن منصور بن سيار عند ابن ماجة، وغيرهما عند غيرهما . ورواه عن محمود بن غيلان الترمذى مباشرة ، وعن أحمد بن منصور ابن سيار ، ابن ماجة مباشرة ، ورواه عن روح بن عبادة الإمام أحمد مباشرة . ورواه عن أحمد بن شبيب العباس بن فرج الرياشي والحسين بن يحيي الثورى عند ابن السنى . ورواه عنهما أبو عروبة الحرانى شيخ ابن السنى . وقد روى من طرق أخرى .

فالحديث إلى أبي جعفر هذا صحيح السند لا بأس به ، فلا كلام للناقد فى هذا الإسناد حتى يصل أبا جعفر الذى قيل: إنه الخطمى ، وقيل: إنه غير الخطمى ، وقد رأى القارىء أن أبا جعفر هذا عند الثلاثة الترمذى وأحمد وابن ماجة ، عن

عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف الصحابى شاهد القصة . وعمارة هذا ثقة لا كلام فيه ، وقد زعم ابن حزم فى المحلى أنه مجهول لا يُعرف كما فى تهذيب التهذيب ؛ ولكن هذا لا يضيره ، لأن غير ابن حزم عرفه ووثقه ، وعثمان بن حنيف صحابى جليل لا كلام فيه أيضا للناقد ، وقد تابع عمارة بن خزيمة فى روايته عن ابن حنيف ، أبو أمامة ، واسمه أسعد بن سهل بن حنيف ابن أخى عثمان بن حنيف ، رواه عن عمه عثمان عند البيهقى وابن السنى والحاكم والطبرانى ، فيكون أبو جعفر هذا رواه عن عمارة بن خزيمة ، وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف .

فالحديث إذاً لا يكون غريبا إلا عند أبى جعفر المذكور ولا ينفرد به سواه وسوى الصحابى عثمان بن حنيف .

أما ما بين ذلك فالرواة متعددون ، وانفراد عثمان بن حنيف لا يضير الخبر ؛ لأنه صحابى جليل .

فالكلام هنا يجب أن يقصر على أبى جعفر هذا .

والترمذى كما تقدم يقول : إنه غير الخطمى ، والأكثرون يقولون : إنه الخطمى . والغريب أن اسمه لم يقع مصرحا به فى

واحدة من الروايات . فمَن الخطمى إذا كان هو إياه ؟ ومَن هو إذا كان سواه ؟ .

أما أبو جعفر الخطمى فهو عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصارى المدنى ، ثم البصرى ، وهو ثقة ، من رجال الأربعة . قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب : وثقه النسائى وابن معين ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وأثنى عليه ابن مهدى ، ووثقه أيضا العجلى وابن نمير والطبرانى .

قال ابن حجر : وقال أبو الحسن بن المديني : هومدنى قدم البصرة ، وليس لأهل المدينة عنه أثر ، ولا يعرفونه .

والخطمى مع هـذا قليل الرواية ، قليـل التحديث ، ولذا وقع الاختلاف فيـه فى هذا الخبر ، فأبو جعفر هـذا إن كان هو الخطمى كما ظنه غير الترمذى فالحديث فى درجة متوسطة فى الصحة والجودة ، لا يبلغ مكانة أحاديث البخارى ومسلم ، ولا ينزل إلى أن يكون ضعيفا باطلا مردوداً ، وإنمـا هو كالأحاديث التي يصححها أمثال الترمذى وابن خزيمة والحاكم وابن حبـان ونحوهم ممن عندهم نوع تسـاهل فى التصحيح ونقد الأخبار ، ولأجل هـذا صح للشيخين البخارى ومسـلم

أن يعرضا عن روايته فى كتابيهما ، لقصوره عن أن يبلغ درجة ما يضمان فى صحيحيهما .

* * *

هـذا إن كان أبو جعفر هـذا هو الخطمى ، ولـكن وقع اختلاف كما تقدم ؛ فالترمذى يقول فى جامعه : إنه غير الخطمى ، وابن حجر العسقلانى يميل في التقريب إلى قول صاحب « صيانة اللسان » إلى أنه غير الخطمى كالترمذى ، ويرجح أنه أبوجعفر عيسى بن ماهان الرازى التميمى الذى ضعفه قوم ، ووثقه قوم آخرون . وفى كتابه « تهذيب التهذيب » مايدل على أنه يرجح كونه غير الخطمى ، وذلك أنه قال فى التهذيب فيمن يكنون أبا جعفر : أبو جعفر عن عمـارة بن خزيمة ، وعنه شعبة . قال الترمذى: ليس هوالخطمي- ولم يزد على ذلك ، ولم ينكر على الترمذى ماحكاه عنه ، فكأنه يميل إلى الأخذ بقوله .

وعنـد ماذكر ترجمة الخطمي من التهذيب لم يتعرض لذلك الخلاف ، ولم يقل : إنه هو الذى روى ذلك الخبر عن عمارة ، مع أنه معروف التنقيب على ما يراه يستحق ذلك ،

فالظاهر من مجموع ذلك أنه يميل إلى موافقة الترمذى فى القول بأنه غير الخطمى .

هذا قول الترمذى ومن فى جانبه . أما الأكثرون فقد ذكروا أنه الخطمى بعينه وقد وقع ذلك فى كثير من الكتب التى روى الحديث فيها . وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك الرأى الأخير .

* * *

إذاً فالخلاف قائم بين أهل الحديث فى أبى جعفر راوى الحديث ، فهل نستطيع الاهتداء إلى الحق المنشود ؟ وبأى أسلوب نستطيع أن نعثر على الصواب والرشد فى ذلك الخلاف ؟ ذلك ما لابد منه ، ولا غنى عنه ، وإلا فإن الذين يكنون أبا جعفر كثيرون ، منهم الثقات ، ومنهم غير الثقات فلا محيص من التمييز خوف الوقوع فى رواية مردودة ، والدين أعز من أن يكتفى فيه بالروايات المبهمة .

قد يقول قائلون : إنه يجب إسقاط خلاف الترمذى ومن معه فى هذا الخلاف ، لأنهم لم يعلموا أن أبا جعفر هذا هو الخطمى أو سواه ، وغاية الأمر أنهم وجدوا الراوى

يقول : حدثنا أبو جعفر ، فظنوه غير الخطمى ، فقالوا : إنه غيره ولكن قولهم هذا ليس بحجة ؛ لأنه قائم على الظن والتوهم ، والحجة فى قول سواهم ، وهم الذين صرحوا بأنه هو الخطمى كما وقع مصرحا به عند ابن أبى خيثمة فى التاريخ وعند الطبرانى فى المعجم ، وعند الحاكم فى المستدرك ، وعند ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ، فإن هؤلاء قد صرحوا بأن راوى الحديث هو الخطمى عينه ، وهم ما قالوا ذلك إلا لأنهم علموا أو حدثوا أنه هو نصاً لا توهماً . وذلك يقتضى ترجيح رأيهم على رأى الترمذى ومن معه ، ويجب المصير إليه ، علماً وبحثاً وصحة وتحقيقاً .

قيل فى الجواب : كلا إنه لا يجب إطراح قول أبى عيسى الترمذى اعتباطا ، ولا الذهاب إلى تخطئته جزافا ، إذ لو صح لنا أن نقول : إنه ظن محض بلا دليل لصح لنا أن نقول : إن هؤلاء الذين صرحوا فى كتبهم بأنه هو الخطمى نفسه ليس لهم دليل أيضاً سوى التوهم والظن ، وهذا قريب جداً وذلك أنهم وجدوا أبا جعفر فى الإسناد مجرداً مطلقا مما يمكن أن يعينه ، فوثب إلى توهمهم وأوهامهم أنه الخطمى

فصرحوا بما توهموه لا بما علموه ، وهذا يحتمل فى الترمذى كما يحتمل فى الآخرين المخالفين له ، وإن كان يبدو للمتأمل جيداً تقديم ماذهب إليه الترمذى وترجيحه ، وذلك أنه يبعد جداً أن يصرح عالم بالحديث مثله بأن هذا ليس هو الخطمى بمجرد الظن المحض ؛ لأنه إذا لم يكن لديه سوى التوهم كانت منطقة السكوت أرحب وأوسع ، وما أبعد أن يقع اسم أو كنية بين يدى ناقد بصير مثل الترمذى : فيقول مبادراً إن صاحب ذلك الاسم أو تلك الكنية ليس هو فلانا ممن يسمون ذلك الاسم بلا حجة ولا برهان سوى الظن البحت.

أما من قالوا : إنه هو الخطمى فمن القريب للغاية أن يسمعوا الراوى يقول :حدثنى أبو جعفر فينساق بسرعة إلى أذهانهم أنه هو الخطمى ، أو غيره ممن يكنون تلك الكنية ، ولأن اللسان والجنان كثيراً ماينـدفعان إلى مثل ذلك اندفاعا ، وينطلقان إليه انطلاقا ، آليا أو شبه آلى .

والأمر بَيِّن لمن تدبره جيداً ، ولمن رزق فهماً وإنصافاً ، وانفلاتا من ربقة التقليد . وإذاً لا يسوغ لناشد المعرفة والحقيقة أن يبادر إلى الحكم بتخطئة الترمذى ، زاعما

أنه الخطمى قولا واحداً ، بل يجب عليه على الأقل التريث والتوقف مالم ينبثق له فى تلك الظلمة شعاع من نور ، ولا سيما أن ذلك الراوى المختلف فيه لم يتابعه أحد على روايته الحديث عن عمارة بن خزيمة وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف بل انفرد به فى جميع الأسانيد والروايات . وهذا ما يزيد الباحث الحريص على الحقيقة والمعرفة توقفا وتريثا ، ولا سيما والحديث وارد فى مسألة كهذه لها من الخطورة مالها .

* * *

وإذ وصلنا إلى ذلك الدور من التحقيق وجدنا أمامنا أمرين لا مندوحة لنا من اختيار أحدهما :

الأول : أن نذهب قولا واحداً إلى أن ذلك الراوى ليس هو الخطمي ، كما قال الترمذى ، وكما رجح الحافظ ابن حجر على ما سبق .

الثانى : أن نلتزم التوقف ، وتجويز كلا الاحتمالين والقولين ، ريثما يقدر لنا قبس من نور فى تلك الدجنة نتلمس به حقيقة ما غم علينا وعلى الباحثين .

وعلى الاحتمالين والقولين لا يصح لنا أن نبادر إلى

القول بصحة الحديث ، وإلى الأخذ به ، حتى نأمن من أن يكون ذلك الراوى راوياً ضعيفاً متروكا ، مردود الرواية ، وما دمنا جوزنا أن يكون الخطمى ، وأن يكون سواه ، فلا سبيل إلى الضمان من أن يكون ضعيفاً ،حتى نعلم أن جميع من يكنون تلك الكنية ممن هم فى تلك الطبقة ثقات أثبات .

أما إذا ذهبنا إلى القطع بأنه غير الخطمى : فقد يحتمل أن يكون راويا ضعيفا ، وكذلك إذا جوازنا أن يكون إياه ، وأن يكون سواه ، لأنه لا سبيل إلى القطع بأنه هو قولا واحداً إلا لمن كان متسرعا إلى ما يجب التأنى والبطء فيه . وما دام ذلك الاحتمال موجوداً فلا شك أن العمل بالحديث باطل مردود ومن ثم ذهب المحدثون إلى أن رواية المجهول مردودة ؛ لاحتمال أن يكون ضعيفا ، وذهبوا إلى أن الحديث المنقطع ضعيف أيضا ، لجواز أن يكون الراوى الساقط من الإسناد ضعيفاً . وأجمعوا على أن الخبر المنقول بلا إسناد لا يجب العمل به ، ولا يكون حجة فى الدين حتى يعلم إسناده ، لجواز أن يكون رواته ضعفاء .

وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك كله محافظة على السنة

والدين ، واحتياطا من الضعف والكذب ، ومن التدين بالضعيف والمكذوب . وقد أجمعوا أيضاً على أنه إذا جاءت رواية باسم مشترك بين ثقات وضعفاء ، فاحتمل أن تكون الرواية رواية ضعيف ، واحتمل أن تكون رواية ثقة : وجب طرح تلك الرواية ، ولم يحل العمل بها قولا واحداً .

مثال ذلك: أن يقول الراوى الثقة المعروف: حدثنا أحمد وكان اسم أحمد مشتركا بين راوى ثقة ، وبين آخر ضعيف ، ولم يقم دليل على أنه أحدهما ، فمثل تلك الرواية لايجوز عند المحدثين العمل بها ، ولا القول بصحتها . ومثله : قول شعبة ابن الحجاج ـ وهو الإمام الحجة ـ فى ذلك الحديث : حدثنا أبو جعفر ، أو عن أبى جعفر ، فإن شعبة إمام حجة ولا شك ، ولكن من يكنون بأبى جعفر ممن يحتمل ويمكن أن يروى عنهم شعبة كثير ، منهم الضعفاء ، ومنهم الثقات الأثبات ، ومنهم مقبول الحديث ، ومنهم مردوده ، فى حين أنه لم يظهر لنا هذا الذى روى عنه شعبة ذلك الخبر .

هذا كله صحيح عند علماء النقد وعلماء الرواية وفرسان الفن ، وأكثر منه وأدل على الدقة والتمحيص البالغ أن شيوخ

هذا الشأن وأساطينه ذهبوا إلى أن الثقة إذا قال: حدثنى الثقة ولم يذكر اسمه ولا من يكون ، لم يقبل حديثه ؛ ولم يكن صحيحاً لديهم ، وذلك لاحتمال أن يكون ثقة عند الراوى عنه لأنه لم يعلم ضعفه ، غير ثقة عند سواه من المحدثين ؛ لأنهم علموا ضعفه ، وعلموا مالم يعلم موثقه من أمره وحاله .

ومن ثم ذهبوا إلى أن قول الإمام مالك رضى الله عنه فى الموطأ : حدثنى الثقة ـ لا يقضى بأن يكون ثقة عندهم حقيقة ، ولا يقضى بأن يكون حديثه الذى روى بالإبهام والإبهام صحيحاً حتى يعلموا من هو ذلك الراوى المبهم الثقة عند الراوى عنه ، أو يعلموا للحديث سنداً آخر معروف الرواة مسماهم .

وذهبوا إلى أن الأحاديث التى يذكرها هو وغيره عن النبى ﷺ بلا أسانيد مثل أن يقول « صح عن النبى كيت وقال النبى كيت » ليست صحيحة مطلقا ، ولا يجب العمل بها لمجرد ذلك النقل .

ومثل ذلك وأبلغ منه فى الحيطة للسنة : أنهم لم يقبلوا الأخبار التى يعلقها البخارى فى الصحيح بلا إسناد ، مع علمهم

بشروط البخارى وشدتها وقوتها ، بل عندهم أنها لا يجب العمل بها حتى يعلم إسنادها وحاله . ومن ثم نجد الشراح للبخارى كالعسقلانى وسواه يتصدون لتخريج هذه الأحاديث المعلقة ، وتبيان حالها ، وقد يميلون حينا إلى تصحيحها ، وهو الأكثر ، وأحيانا إلى القدح فيها وتضعيفها ، وهو الأقل .

ولهذا كله احتاج المسلمون إلى الأسانيد والعناية بها ، وإثباتها ، وقد جعلوها من الدين ، ولم يكتفوا بأن يقول العالم المحدث الثقة « صح عن النبى كذا وصح عن أصحابه كيت » بل وجدوا أن ذلك لا يجدى ولا ينفع فى الحيطة المطلوبة .

فما ألف البخارى صحيحه بلا أسانيد ، ولا ألف مسلم صحيحه بلا أسانيد ، ولا أحمد مسنده محذوف الأسانيد ولا سواهم من أعلام الرواة وعلماء الحديث ، بل ذكروا جميعاً الأخبار بالأسانيد ؛ ليكون لمن جاء بعدهم من المسلمين الاختيار الصحيح النزيه ، والاجتهاد الفاحص ، والنظر المدقق ، والعلم الذى لا يحد إلا بحدود البشرية وحدود العقل ، فيكون لكل من جاءوا بعدهم إذا استطاعوا واستوفوا الآلة أن يصححوا وأن يضعفوا ، وأن ينقدوا .

وقد كشفوا ـ نضر الله وجوههم ـ أحوال الرواة، وبينوا قواعد الرواية، ودوّنوا ماهم عليه من صحة وضعف، ومن دين ومروق، ليكون فى ذلك النبراس اللماع الوهاج لمن راحوا يدلجون فى ليل الجهالات والضلالات والشكوك والأكاذيب المبثوثة فى كل سبيل، وعلى كل مرصد، متخطين ذلك كله إلى مناهل الحقيقة الواحدة، وإلى مناهل الإيمان والعرفان والصدق، حتى خلفوها بيضاء واضحة الأعلام والمعالم، لا يتيه فيها إلا تائه هالك، ولا يعمى عنها أو فيها إلا من استحب العمى على الهدى، وآثر الظلام على النور، بعد أن باع هداه لهواه، وعقله لجهله.

هذا كله صحيح عند أهل الحديث الذين حفظ الله بهم العلم والسنة، وأبان بهم كلام النبوة الصادقة من كلام الوضّاعين

يقول كاتبه: وعند ماوصل هذا الكاتب المحقق القدير إلى هنا، وسار شوطا بعيد المدى، أراد أن يدل محبي معرفة الحق، فنقل قطعة من مقدمة الإمام مسلم تؤيد ما كتبه ونقلناه لك قبل، فقال وفقه الله لما يرضيه:

ومن طالع مقدمة الإمام مسلم فى صحيحه رأى العجب

العجاب من أقوال أئمة الحديث فى التعظيم لأمر الرواية والرواة ، وفى الحذر من الكذب والكذابين ، وفى الحملة القاسية على من طاروا فرحا وسرورآ بكل ما سمعوه من الكلام ، زاعمين أنه من كلام النبوة . وقد ذكر هذا الإمام فى مقدمة الصحيح بعنوان (باب النهى عن الرواية عن الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم) بسنده عن عامر بن عبدة قال عبد الله « إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم : سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه » . وروى أيضا بالسند الصحيح عن طاوس قال بشير ابن كعب إلى ابن عباس فجعل يحدثه فقال له ابن عباس « عد لحديث كذا ، فعاد له ، فقال له : ما أدرى أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا ، أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ، فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه »

ثم روى عنه رواية أخرى جاء فيها قال « فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال: يا ابن عباس، مالي أراك

لا تسمع لحديثى ؟ أحدثك عن رسول الله فلا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف » .

وقد روى مسلم فى فاتحة الباب بالإسناد الصحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ؛ لا يضلونكم ولا يفتنونكم» .

وقد ذكر فى المقدمة قبل ذلك الباب باباً آخر عنوانه (باب النهى عن الحديث بكل ما سمع) وروى فيه أيضاً : أن عمر بن الخطاب قال « بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ماسمع » . وروى فيه عن الإمام مالك أنه قال : «اعلم أنه لا يسلم رجل حدث بكل ماسمع ، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ماسمع » .

ثم عقد مسلم فى المقدمة باباً آخر عنوانه (باب فى أن الإسناد من الدين) فروى فيه بالسند عن محمد بن سيرين قال : «إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم» ثم روى عنه

أنه قال « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » .

ثم سار الإمام مسلم شوطا بعيد المدى ، فذكر شيئاً كثيراً فى النهى عن الاغترار بنقل الأحاديث ممن لا يصلح النقل عنهم ، فمن أراد الزيادة فليرجع إليه - إلى أن قال .

ولهذا كان علم الحديث من أشرف العلوم وأفضلها ، وأدقها وأقواها ، وكان رجاله هم الذين يفرقون بين الإسلام وما ليس إسلاماً ، وكانوا هم حفظة الشريعة المحمدية بلا نزاع ولولا هذه الأسانيد وعلومها وفنونها لما بقى لنا من الإسلام سوى القرآن ، وذلك لاختلاط أحاديث النبوة بأحاديث الكذبة . فلله شيوخ الفن ، ولله ما قدموه .

* * *

بعد هذا كله نقول إننا لا ندرى من يكون أبو جعفر هذا الذى ألقى ذلك الحديث الذى استغله الشيطان فحوّل به أهل الإسلام عما جاء به محمد ﷺ إلى ترهات وخرافات فجائز أن يكون الخطمى ، وجائز أن يكون غيره ، وإذا كان

غيره فجائز أن يكون ثقة . وجائز أن يكون ضعيفاً ، بل وأقل من الضعيف .

من يحتمل أن يكون أبو جعفر هذا إذا لم يكن الخطمى ؟

الذين يكنون بأبي جعفر ممن يمكن أن يراد أحدهم هنا كثيرون . فنهم أبو جعفر عيسى بن ماهان الرازى التميمى . وقد وثقه قوم ، وضعفه آخرون ، وقدحوا فى حفظه وضبطه . وقال ابن حبان: إنه ينفرد عن المشاهير بالمناكير ، فلا يعجبنى الاحتجاج بحديثه إلا فيما وافق الثقات ، وقال ابن معين : يكتب حديثه ولكنه يهم . وقال أبو زرعة : شيخ يهم كثيرا وقال أحمد بن حنبل ليس بالقوى ، ووهن أمره النسائى ، وقد وثقه أبو حاتم وابن المدينى والحاكم وآخرون .

فهو إذاً قائم بين التضعيف والتوثيق ، فقوم يقبلونه وقوم يردونه ، وكأن الذين قالوا : إنه ثقة أرادوا أنه ثقة لولا الوهم والغلط ؛ لأن الذين قدحوا فيه قدحوا من هذه الناحية نفسها ، فكأنه صالح فى نفسه ودينه وحاله ، ولا عيب فيه سوى سوء حفظه وضعف ضبطه ، وبهذا تتفق أقاويل القادحين والمادحين .

ويشهد لصدق هذا الجمع بين القدح والمدح أن ابن معين وثقه مرة ، ومرة قال : يكتب حديثه ولكن يخطىء . ومن كانت هذه حاله كان حديثه من قسم الحسن ، لايبلغ درجة الصحيح إلا عند المتساهلين جداً ، أو عند وفرة الشواهد والمتابعات ، ولكن لا شواهد هنا ولا متابعات ، فحديثه هذا إذا كان هو إياه لايكون صحيحاً ، وإنما يكون حسناً بإغماض ، أو ضعيفاً ضعفاً هيناً .

ولكن هل يمكن أن يكون أبو جعفر المذكور فى الحديث هو هذا ؟ .

والجواب : نعم ، ويقوى هذا الاحتمال أن شعبة بن الحجاج قد روى عن أبى جعفر هذا ، كما في تهذيب التهذيب ، وشعبة هو راوي ذلك الخبر عن أبي جعفر الذى ننشد معرفة أمره واسمه وحقيقته .

ولكن قد يوهن ذلك أنه وقع فى بعض روايات نسبة أبى جعفر هذا إلى المدينة ، فجاء فى سنن ابن ماجة « عن أبى جعفر المدنى » وكذا جاء فى مسند أحمد ، وعند البيهقى ، والحاكم فى

المستدرك ، والطبرانى فى المعجم . وهذا فى الظاهر يأبى احتمال أن يكون أبو جعفر هذا هو عيسى بن ماهان الرازى ؛ لأنه ليس مدنياً ، بل مرزوى الأصل ، سكن الرىّ ، وقيل : أصله من البصرة ، ومتجره إلى الرىّ ، فنسب إليها . كذا فى تهذيب التهذيب .

وقد يُدفع ذلك الاعتراض بأن يقال : إذا جوزنا الوهم على من زعموه الخطمى فلا مانع من تجويزه على من نسبوه للمدينة ، والمسألة لا تعدو منطقة التجويز والاحتمال . ذلك لابد منه : إما للذين زعموه الخطمى المدنى ، وإما للذين زعموه غيره ، وليس فى التزام ذلك شىء كما ترى .

وهناك راو آخر يكنى أبا جعفر يحتمل أن يكونه ، وهو عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبى طالب أبو جعفر الهاشمي المدائنى ، كما فى الميزان للذهبي ، وروى فيه عن معاوية بن صالح قال : أبو جعفر المدائنى هو عبدالله بن محمد ابن مسور ، وهو ضعيف . قال أحمد وغيره : أحاديثه موضوعة كذا فى الميزان .

وقال النسائي والدارقطني : متروك وقال الإمام مسلم في مقدمة الصحيح في (فصل الكشف عن معايب رواة الحديث) حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن رقبة أن أبا جعفر الهاشمي المدني كان يضع أحاديث ، وليست من أحاديث النبي ﷺ ويرويها عن النبي .

فإذا كان أبو جعفر هذا هو أبو جعفر الذي روى عنه شعبة ذلك الخبر ، فالخبر بلا شك ضعيف جداً لا يحل الاحتجاج به ولا الاشتغال بمعناه وقد يقوى احتمال كون أبو جعفر الوارد في الخبر هو ذلك : أن كليهما يقال له : أبو جعفر المدني ، فهذا مدني كما جاء في خبر مسلم ، والذي في خبر الأعمى مدني ، كما في ابن ماجة وأحمد والمستدرك والطبراني ، فالاتفاق في الكنية والنسبة قد يقوى أن هذا هو هذا . أما شهرة أبي جعفر هذا بالمدائني فراجع إلى أنه كان نزيل المدائن ، فلا خلاف بين المدائني والمدني ؛ لأنه مدني بالأصل مدائني بالإقامة .

وهناك راو آخر يقال : أبو جعفر الأنصاري المدني المؤذن . قال في تهذيب التهذيب : روى عن أبي هريرة ، وعنه يحيي بن كثير . قال الترمذي : لا يعرف اسمه ، وقال غيره : هو

محمد بن علي بن الحسين . قاله أبو بكر الباغندى عن أبي عاصم من حجاج بن أبي عثمان عن يحيي . قال أبو مسلم الـكجى من أبي عاصم عن حجاج عن يحيي عن محمد بن على .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : أبو جعفر هذا رجل من الأنصار ، وبذلك جزم ابن القطان وقال: إنه مجهول . وقال ابن حبان فى صحيحه :هو محمد بن على بن الحسين ولا يستقيم ذلك ؛ لأن محمد بن على لم يكن مؤذنا ، ولأن أبا جعفر هذا قد صرح بسماعه من أبي هريرة فى عدة أحاديث ، وأما محمد بن على فلم يدرك أبا هريرة ، فتعين أنه غيره . اه كلام الحافظ العسقلانى . وقال فى آخر الترجمة : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين هذا وبين الراوى عن أبي هريرة ، وأظن أنه هو ، وعنه أبو داود فى الصلات عن يحيي بن أبي كثير عن أبي جعفر غير منسوب عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ، وأظنه هذا .

وقال الحافظ الذهبي فى الميزان : أبو جعفر الحنفى اليمامى عن أبي هريرة ، وعنه عثمان بن أبي عاتـكة مجهول . وروى عنه يحيي بن أبي كثير وَحْدَهُ ، فقيل: الأنصارى المؤذن ، له حديث النزول، وحديث «ثلاث دعوات» ويقال: مدنى، فلعله محمد بن

على بن الحسين وروايته عن أبي هريرة وعن أم سلمة فيها إرسال ، لم يلحقها أصلا .

فإن كان أبو جعفر هذا هو الذى روى عنه شعبة الحديث كان الخبر بلا شك ضعيفاً . لكن قد يشك فى إدراك شعبة لأبى جعفر هذا ، وفى روايته عنه .

وتلك الأقاويل والاحتمالات متروكة كلها رهن البحث والتمحيص ، لايصل شىء منها إلى العلم واليقين .

وبقى ثم رواة آخرون يكنون تلك الكنية منهم الثقات ومنهم الضعفاء ، ويجوز أن يكون أبو جعفر الذى فى الخبر أحدهم ، ويجوز العكس ، وأن يكون رجلا مجهولا ليس له إلا ذلك الحديث ، ولم يرو عنه شعبة سواه ، ولم يرو عن عمارة ابن خزيمة بن ثابت غيره . وقد يفهم هذا من صُنع الحافظ ابن حجر ، وذلك أنه قال فيمن يكنون بأبى جعفر : أبوجعفر عن عمارة بن خزيمة وعنه شعبة . قال الترمذى ليس هو الخطمى انتهى

وقد يشهد لهذا أيضاً قول الترمذى : إنه غير الخطمى ، ولم يزد على ذلك القول شيئاً ، فلم يسمه ولم يصفه ولم ينسبه ،

فكأنه ما كان يعرف عنه شيئاً وإذا صحح حديثه اعتماداً على رواية شعبة عنه ؛ لأن شعبة لا يروى إلا عن الثقات غالباً ، وإلا فقد روى عن غير الثقات والترمذي معروف بالتساهل واللين فى التصحيح . وقد صحح حديث من أجمع على ضعفه ، ككثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف المدنى وقد صحح خبره فى الصلح بين المسلمين المشهور . وقد نعى عليه جهابذة الفن فقالوا : إنه لا يقلد فى التصحيح كغيره من المتساهلين .

بعد هذا البيان الشافى الوافى للمنصف ظهر لنا أن حديث الأعمى ليس من الصحاح ولا الحسان ، وأنه لا يجوز لمن لا يرضى لنفسه وعقيدته إلا الصحة واليقين أن يعمل به أو إلزام الناس به ، أو اتخاذه قاعدة من قواعد الإسلام ، أو عقيدة من عقائده ، فإن أبا جعفر المنفرد بروايته رجل مجهول لا تعرف حاله ، ولا يدري مكانه من الصحة والضعف على وجه اليقين ، فيجب رد أخباره ، والدين قوى متين لا يثبته إلا قوى متين مثله . وقد نهى الإسلام ـ كتابه وسنته ـ عن الإيمان والعمل بما لم يثبت ، والشواهد على ذلك معلومة .

ثم كتب ذلك الكاتب بقلمه السيال وعلمه الواسع ما يزيد الموضوع وضوحا ، فقال .

إجمال علل الحديث

أولاً ـ جهالة أبي جعفر هذا المنفرد به عن عمارة بن خزيمة وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، واختلاف الناس فيه ؛ إذ زعم فريق أنه الخطمي ، وزعم فريق آخر أنه سواه ، ولم يظهر لنا أصح القولين ، فوجدنا أن التوقف بين القولين هو المصير الصحيح

ثانياً ـ تفرد ذلك الراوي المجهول المختلف فيه به دون غيره من أقرانه وممن هم أكثر منه حديثا وتحديثا ، وأكثر اجتماعا بعمارة وبأبي أمامة ، وقد كان المظنون أن يرويه سواه إذا كان صحيحاً .

ثالثاً ـ انفراد عثمان بن حنيف به ، فلم يحفظ أنه روى عن أحد سواه من الصحابة ، لا عمن هم أكثر منه رواية ، ولا عن ذلك الأعمى الذي رد الله له بصره بدعوة رسوله ، ولا عن أقارب الأعمى وعارفيه ، ممن عرفوا القصة

والمعجزة حقيقة ، فهذا الانفراد بالحديث مع أنه من أحاديث المعجزات المادية المخبرة عن حدث من الأحداث التي تكثر رواتها ورواياتها بعادة ـ مما يزيد الشك في صحة القصة ووقوعها ، والتفرد وحده لا يقضي بردّ الحديث عندنا ، ولكن التفرد مع جهالة الراوي المنفرد به ، ومع ماتقدم من الكلام في الحديث يتألف منه شك يقف الطالب للحقيقة وللمعرفة حيران بين الرد والقبول ، ولا مناص حينئذ من الرد والطرح ؛ لأن الدين لا يكفي في إثباته أمثال تلك الروايات المجهولة .

رابعاً ـ غرابة معنى الحديث وشذوذه عما عرفه الخاص والعام من أصول الإسلام وفروعه ، ومما علم بالضرورة منه ، فإن سؤال الله بخلقه كأن يقال : يا ألله أسألك بفلان ، أو أتوجه إليك بعبدك فلان أو بنبيك فلان ونحو ذلك : لم يعهد مثله في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ، أو الأئمة وما نقل شيء من هذا النوع إلا ماجاء في الأخبار الباطلة الموضوعة ، كحديث سؤال آدم ربه بمحمد

وكحديث السؤال بحق السائلين ، وحق الممشى إلى الصلاة ، وهو حديث غير صحيح ، ومعناه - إذا صح - خلاف مانحن بصدده ، وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله .

وكروايتهم « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهى ، فإن جاهى عند الله عظيم » وهذا لا أصل له . وكالرواية التى رواها عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «كانت اليهود بخيبر تقاتل غطفان، وكانت يهود تُهزَم فعاذت بهذا الدعاء : اللهم نسألك بحق محمد النبى الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . قال : فكانوا إذا التقوا دعوا به ، فهزموا غطفان » وهى رواية باطلة ، وعبد الملك هذا ضعيف ، كما قال أحمد والطبرانى . وقال يحيى : كذاب وقال أبو حاتم : متروك ، وقال ابن حبان : يضع الحديث . وقال أبو نعيم : الحافظ يروى عن أبيه مناكير ، ودين الله أجل من أن يحتج له برواية مثل هذا . وأما أبوه هرون فضعفه قوم ، ووثقه آخرون .

فالروايات التى فيها السؤال بحق المخلوق كلها إما ضعيفة جداً ، أو موضوعة . ومثل تلك الروايات لايحل بها حكم من

أحكام المياه والوضوء والحيض والطهارة؛ فضلا عن أن يثبت بها قاعدة من قواعد الإسلام ومناجاة الله وسؤاله، والاتصال به. أما الروايات الصحيحة فلم يجىء فى شىء منها شىء من ذلك.

وأبواب الدين - أصوله وفروعه - كلها جاءت فيها الآيات والأخبار الصحيحة التى لا يختلف المسلمون فى صحتها وصحة نسبتها إلى النبى ﷺ إلا هذا الباب: باب سؤال الله بالمخلوق وبجاهه وذاته وحرمته، فما جاء فيه حديث سلم من النقد والتجريح مما لا تثبت به قاعدة نحوية فضلا عن دينية.

هذا كتاب الله يتلى، وهذه أدعية عباده الصالحين، الأنبياء والمرسلين فمن دونهم من الأتقياء، وسائر صنوف المسلمين، وهذه أوامر كتاب الله، وحضه الناس على الدعاء وسؤال الله جميع الحاجات والآمال. ذلك كله في كتاب الله فهل فيه حرف واحد يدل على جواز سؤال الله بالخلق؟ أو أن نطلب الحاجات بحق مخلوق أو بجاه أحد؟ لقد ذكر كتاب الله من أساليب الأدعية وضروب المسائل - مسائل المتقين ربهم - ما لا يحيط بها إلا من غنى بالكتاب ودراسته، فهل

يوجد فى الكتاب أن أحداً من هؤلاء سأل الله بنبى أو ولى أو بجاه مخلوق له الزلفى والقربى لدى ربه ؟ أو يوجد أمر من أوامر الكتاب بأن يفعل المؤمنون نوعا من ذلك ؟.

كلا وألف مرة كلا .

وكذلك الشأن فى دواوين السنة المطهرة قد ضمت من الأدعية الطيبة ما ضمت ، وليس فى كل ذلك أدنى إشارة إلى السؤال بالجاه أو بالذات ، اللهم إلا ما سبق الكلام عليه من روايات هزيلة ضعيفة .

وإنك لتجد فى البخارى ومسلم أحكام المياه والوضوء والصلاة وسائر العبادات ، والبيع والشراء وسائر المعاملات معاملة العبد لربه ومعاملة العبد للعبد ، وأحكام الموت والكفن وما بعد الموت من القبر وعذابه وسؤاله ، وتجد فيهما أبواب الأخلاق والآداب الاجتماعية المطلوبة من المسلم للمسلم ولغير المسلم ، وتجد آداب اللقاء والفراق ، والجلوس والقيام ، وآداب المرء مع أهله وفى بيته — كل ذلك فى أخبار الصحيحين ، لكنك لا تجد فيهما حرفاً واحداً يدل على جواز سؤال الله بجاه فلان ، أو التوسل إليه بمقام فلان .

فكيف كان ذلك ؟ أترى أن النبي ﷺ لم يبينه ولم يُبلغه مع أنه من الدين والرسالة المنزلة عليه ؟ أترى أن حفاظ السنة شاءوا كتمان ذلك ونسيانه ، ورضوا عن نقله وتدوينه ليختلف الناس وليضلوا ، وليطول اختلافهم وجدالهم .

كل ذلك يا صاح لا يجوز عندنا ، ولا عند أحد من المؤمنين ، فالرسول قد بين البيان كله ، وحفاظ السنة لم يألوا وسعاً فى التدوين والمحافظة على الدين ، والتمييز بين الصحيح والضعيف .

فالحق والواقع أن هذا النوع من السؤال والدعاء لا وجود له ولا معنى له فى الإسلام ، ولذلك كانت مصادره ونصوصه خالية تماماً من أخباره ورواياته ، وخلا كلام السلف الصالح وأدعيتهم منه خلواً كاملا .

فالحديث إذاً شاذ المعنى غريبه فى الدين ، ولكن ليعلم أنه لا يكون شاذاً غريباً إلا على فهم الجهلة له ، أنه من سؤال الله بالأشخاص والجاه والحقوق . فهذا الفهم هو الغريب فى الإسلام . أما عندنا - إذا صح - فليس بغريب ؛ لأننا

لا نفهم منه إلا أنه استشفاع بالنبي ﷺ ، وسؤال بدعائه وشفاعته ، وهذا لا تنازع فيه كما سنبينه بعد .

وحديث الأعمى هو أقوى حجة فى موضوع التوسل بالجاه والذات ، وقد علمت مافيه .

ولزيادة الوضوح حتى يتبين ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من أنهم ما كانوا يقبلون ما يسمعونه من غيرهم حتى يدعمه بأقوى الدعامات ، وأثبت الروايات . قال من ننقل عنه .

وقد عهدنا من السلف الصالح الشك فى الروايات المفردة الغريبة الصحيحة ـ بله الضعيفة الواهية ـ مثل هذا الخبر إذا جاءت فى إثبات أمر يحسبونه غير ثابت فى الإسلام ، وليس له دلائل أخرى قوية .

فقد جاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يقبل رواية عمار فى التيمم لمن لم يجد الماء . وصح أن عائشة لم تقبل رواية عمر وابنه عبد الله فى أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وبكاء الحى عليه ، وقالت : « إنكم لتحدثون عن غير كذابين ولا مكذبين ، ولكن السمع يخطىء » .

وصح أنها قالت : «يرحم الله عمر ، والله ماقال رسول الله إن المؤمن يعذب ببكاء أحد عليه ، ولكن قال : إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه» . وقالت تنكر رواية ابن عمر : «يرحم الله أبا عبد الرحمن - تعنى ابن عمر - سمع شيئاً فلم يحفظه إنما مرت جنازة يهودى على رسول الله وهم يبكون عليه فقال : أنتم تبكون ، وإنه ليعذب » .

وصح عنها أيضاً أنها أنكرت رواية عمر وابنه عبد الله : « أن النبي ﷺ وقف على قتلى بدر من المشركين وقد رُموا فى بئر هنالك فأخذ يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فلما قيل له فى ذلك ، قال: إنهم يسمعون ولكن لايجيبون ، وقالت: إن ابن عمر وهِم ؛ وإنما قال النبي ﷺ إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ، وقرأت (إنك لا تُسمع الموتى) وقوله (وما أنت بمسمع من فى القبور) .

وثبت أن عمر لم يقبل حديث فاطمة بنت قيس فى أن المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ولا سكنى ، ولم يقبل أيضاً رضى الله عنه رواية أبى موسى فى الاستئذان ، حتى شهد لأبى موسى الأشعرى من شهد ، ولفاطمة من حقق روايتها .

وهذا حديث ميراث الجدة حينما أتت الصديق رضى الله عنه بعد موت النبي ﷺ فقال لها « ما علمت عن النبي ﷺ فى أمرك قضاء ، فشهد المغيرة بن شعبة ، فلم يقبله حتى عضد شهادته محمد بن مسلمة ، فأنفذ لها الصديق السدس » كما أخبر المغيرة بن شعبة . وهذا الحديث رواه الخمسة إلا النسائى وصححه الترمذى .

إلى أن قال من ننقل عنه لطف الله به :

والروايات فى هذا المعنى عن الصحابة فمن بعدهم كثيرة مشهورة معلومة ، فقد كان معهوداً عندهم ومنهم أن يردوا خبر الواحد الشاذ المعنى ، المخالف لما علموه من الإسلام ، ولما ظنوه مباينا للسبيل الواضحة ، والجادة المسلوكة ، وإن كان الراوى ثقة ثبتاً ، بل وإن كانوا هم لا يشكون فى صدقه وأمانته ودينه ؛ ولكنهم أحيانا يردون قول الثقة المنفرد بالرواية الشاذة المعنى فيما يحسبون لخوفهم من الغلط والنسيان لأن الفرد الواحد يسهل نسيانه ويخشى غلطه وإن كان كل الثقة ، ولهذا يقول عمر فى إبانه قول فاطمة ، بنت قيس فى حكم المطلقة المبتوتة : « لا نترك كتاب الله وسنة نبينا لقول

امرأة ، لا ندرى أحفظت أم نسيت ؟ » . ويقول فى رده على أبى موسى الأشعرى روايته فى أن الاستئذان ثلاث مرات : «إنى سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبت» وتقول عائشة رضى الله عنها فى ردها رواية عمر وابنه عبد الله فى تعذيب الميت ببكاء الحى عليه : « إنكم لتحدثون عن غير كذابين ولا مكذبين ، ولكن السمع يخطىء » .

فانفراد الراوى الواحد بالرواية الواحدة ، المفيدة فى الدين أمراً جديداً أو حكماً خاصاً لا يوجد فى غيرها ، يريب ذلك الانفراد فى صحتها وصدقها ، ويحمل على التوقف فى قبولها وتصديقها والإيمان بها ؛ لأن الانفراد دائماً قريب من النسيان والغلط .

* * *

فالكلمة الأخيرة الفاصلة فى هذا الحديث الأعمى : أنه حديث ضعيف باطل ، لا يحل الاحتجاج به . أما تصحيح من صححوه فليس بحجة . وفى سنده ومعناه ماذكرناه من النقد والقدح . والذين صححوه كلهم من المتساهلين فى التصحيح والنقد ، أمثال الترمذى والحاكم ، ولاسيما فيما يتعلق بأبواب

المعجزات والفضـائل . أما الحاكم فلا يعتد بتصحيحه فى المستدرك ؛ لأنه قد صحح الأحاديث التى أجمع أهل الحديث على أنها موضوعة مكذوبة ، ووثق من الرواة من اتفق على كذبه أو جهالته أو ضعفه ، حتى صار معلوماً لأهل هذا الفن بأنه من الذين لايحسب لقولهم فى هذا الباب حساب . وأما الترمذى فتساهل أيضـاً جداً ، حتى أنه صحح أحاديث من أجمع على ضعفهم وضعف حديثهم وجامعه ملآن بالأحاديث الضعيفة التى زعمها حسنة أو صحيحة ، وقريب منه البيهقى ، وابن حبان، وابن خزيمة ، وجماعات أخرى معروفة فى طوائف أهل الفن ، وما صحح حديث الأعمى من عرف بالصلابة والتدقيق . ولأمر مّا أعرض البخارى ومسلم عنه وعن روايته ، مع العلم بأنا لا ندعى أن كل مالم يخرجاه ضعيف باطل، وإنما ندعى أن إعراضهما عنه ـ وهو فى هذا المعنى الشائق للمسلم ـ لابد أن يكون لأمر مّا ، وعلة وجداها فيه ، ولولا ذلك لبادرا إلى إخراجه ، ولوجدا فيه مايشوقهما إليـه وإلى روايته ولا سيما أنه لايوجد فى كتابيهما شىء فى معناه .

ولعل الذين صححوه اعتمدوا فى ذلك على رواية شعبة

ابن الحجاج له عن أبى جعفر المختلف فيه ، وذلك أن شعبة قد عهد منه كثيراً اجتناب الضعفاء ، واجتناب حديثهم ، والرواية عنهم ، ولكن هذا ليس بلازم فقد روى شعبة عن قوم ضعفاء . ولعلهم أيضاً صححوه حاسبين أن أبا جعفر الراوى هو الخطمى ؛ لأن الخطمى عندهم ثقة ، ولم يعلموا أنه سواه كما علم الترمذى وكما ذكر ، فكان التصحيح قائم على هذا الوهم الذى فطن إليه الترمذى فرده ، ومنشأ هذا الوهم والظن اتفاق الكنى .

(تحقيق معنى الحديث إن كان صحيحاً)

أما الكلام على الحديث من جهة المعنى على افتراض كونه صحيحاً، فيقال: استدلال المخالفين به من ناحيتين: ناحية سؤال الله بالنبي ﷺ، وناحية سؤال النبي نفسه وهو غائب عن السائل. الناحية الأولى دليلها قوله فيه «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة. إني توجهت بك إلى ربي» ودليل الناحية الثانية قوله فيه «يا محمد» الخ ففيه سؤال الله، والتوجه إليه بفضلاء خلقه: من أنبيائه وأوليائه، وجواز سؤال الصالحين وندائهم في غيبتهم.

هذا بيان شبهة القوم فيه ووجه احتجاجهم به.

والجـواب أن نقول: إن الحديث على افتراض صحته دليل جليّ على بطلان ما ذهب إليـه المخالفون وردّ عليهم، وهو من البراهين الظاهرة على بطلان هذين الزعمين، وفساد السؤالين. وبيان ذلك أن هذا الرجل الأعمى عند ما فـكر في الرغبـة إلى الله تعالى ليرد له بصره، وفي النبي ليدعو له الله ويشفع عنده من أجله؛ لم يفعل مثل ما يفعلون ومثل ما يزعمون

أنه يجوز فعله والركون إليه . من دعوة الرسول ﷺ أين كانوا ، ومن سؤاله الشفاء وضروب الحاجات والمطالب التي يطلبونها اليوم منه ومن الأموات في كل مكان ومن كل مكان ولم يسأل الله قبل أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الشفاعة فيجيبه بحقه ، ولا بحق أحد غيره من خلقه .

لم يفعل الأعمى شيئاً من هذا في غيبة الرسول ولا في حضرته حتى أتاه وطلب منه الدعاء ، فأجابه إلى ماطلب وأمره ، أن يدعو الدعاء المذكور . ولو كان الأمر كما يزعم عباد القبور والموتى لما احتاج إلى أن يذهب إليه ﷺ ، ولما احتاج إلى استئذانه ورجائه، بل كان يقول - على فيه أين كان وأين وجد - كما يقولون وكما يفعلون : يارسول الله اشفني ، ورُد لي بصرى وعافني ؛ كما يفعل دعاة الأموات والقبور من كل مكان ، اليوم وقبل اليوم وكان يقول : أين كان يا ألله بحق محمد ﷺ وبجاهه وحرمته وكرامته ومكانته لديك ، كما يفعل المتوسلون المبتدعون المبدلون دين الله بما ألقاه إليهم الشيطان من وحيه بهذه الأحاديث العمياء ؛ ولكان في غنية عن أن يذهب إلى النبي ﷺ وأن يطلب منه الدعاء والشفاعة ، بأبي هو وأمي .

فإتيان هذا الأعمى إلى النبي ﷺ قبل أن يطلب منه الدعاء دليل على أنه لا يصح سؤال النبي ذلك ، ولا دعاءه ولا الطلب منه فى غيبته . وهؤلاء المخالفون يدعون الموتى من كل مكان وهم غائبون عنهم ، ولا شك أن الله تعالى أقرب منهم للإجابة ممن يدعون من دونه ، مهما كانت درجاتهم .

نعم غائبون عند الله ، والأموات كلهم غائبون .

وطلب الدعاء منه ﷺ وقوله « ادع الله أن يرد بصرى » دليل على أنه لا يصح سؤال النبي ﷺ ذلك ، ولا سؤال غيره مثله . ولا يصح أن يقول قائل: يارسول الله رد بصرى وعافني على وجه مّا من الوجوه المجازية والحقيقية ، والمخالفون يزعمون أن هذا كله جائز .

وامتناعه عن أن يقول قبل أن يستأذن النبي : أسألك يا رب بمحمد أو بحقه ، أو اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، دليل على أن هذا النوع من الدعاء لا يصح ، وإلا لو جاز لقاله قبل إتيانه إلى الرسول .

وقوله عليه السلام « لو شئت صبرت وهو خير لك » دليل على أن السؤال بالجاه وبالذات ليس من الدين ؛ لأنه لو

كان من الدين وكان الأعمى يريد من النبي أن يأذن له فيه لم يقل له : «وإن شئت صبرت وهو خير لك» ؛ لأن ترك دعاء الله ليس من الخير . ولأن الدعاء دين ، والدين لا يمكن أن يكون الخير فى تركه ، فلا يمكن أن يرغب فى ترك دعاء الله بأن يقال للداعى : اصبر وهو خير لك ، أى : اصبر عن دعاء الله تعالى ، والتقرب إليه بما يقرب لديه ، فإن هذا ليس خيراً بل هو شر كله . والخير فى دعاء الله والتقرب إليه ، فى ابتغاء الوسيلة الصحيحة لديه .

هذه الأمور كلها ترد على المخالفين ما يذهبون إليه ، والحديث إن صح فهو فى جانب المنكرين لهذه الخرافات ، وليس فى جانب أصحابها الذائدين عنها منه شىء ، كما سوف يظهر جلياً إن شاء الله

فنحن إذا قلنا لهؤلاء القوم المخالفين في هـذه الأمور الإسلامية الأولية : إذا كان دعاء الأنبياء والصالحين جائزاً فى الإسلام : إما على سبيل الحقيقة ، أو على سبيل المجاز فيما لا تمكن حقيقته ، وكان جائزا للمسلم أن يقول : يارسول الله اشفنى وعافنى ، فلماذا لم يقل الأعمى ذلك قبل أن يذهب للنبى ؟ ولماذا احتاج أن يأتيه ، وأن يطلب منه الدعاء ؟ إذا قلنا لهم

هذا لم يستطيعوا أن يحيروا جوابا صحيحا .

ثم لو قلنا ثانيا : إذا كان دعاء الرسول والصالحين جائزا فى حضرتهم ومغيبهم ، وفى حياتهم وبعد مماتهم كما تفعلون ، فلماذا لم يدع ذلك الأعمي فى غيبة النبي بل رأى أنه لا بد من إتيانه ؟ وطلب ذلك منه حضورا ، لو قلنا لهم هذا لم يجدوا مايجيبون به . ثم لوقلنا لهم ثالثاً : إذا كان سؤال الله بحق النبي وبجاهه من الإسلام . فلماذا لم يسأل الأعمي ربه بشىء من ذلك قبل أن يأتى النبى ﷺ ؟ لو قلنا لهم ذلك لما ظفرنا منهم بجواب غير التهويل ، وطبلوا وزمروا أنتم : تبغضون النبي . بأبى هو وأمى .

أما الألفاظ التى استدلوا بها منه على ما يأتون من عبادة غير الله تعالى مستدلين عليها بهذا الحديث ، فالجواب عنها :
أما قوله « وأتوجه إليك بنبيك » (وتوجهت بك إلى ربى) فالتوجه هنا يراد به التوجه بدعاء الرسول ﷺ لا بذاته ولا بشخصه ، ودليل ذلك ما قدمناه ، ومن الدليل عليه أيضا : أن أصل المسألة كان فى الدعاء ، وفى طلبه من النبى ﷺ ولم يكن أصلها فى سؤال الله بجاهه أو بذاته ، حتى يصح

ما زعم المخالف . ومن الدليل أيضا عليـه : قوله فى خاتمة الحديث « اللهم شفعه فىّ » فالأمر إذاً أمر شفاعة . ومن الدليل عليه : قوله أيضا « وإن شئت دعوتُ » وقد شاء بلا خلاف ولا شك ، فقد دعا إذاً بلا خلاف ولا شك ؛ لأنه قد علق الدعاء بالمشيئة ، والمشيئة قد وقعت ، فالدعاء كذلك قد وقع . وهو مثل حديث الاستسقاء بالعباس . ومثل قول الفاروق رضى الله عنه « اللهم كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » وهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي وشفاعته ، لا بذاته وشخصه . وهذا ظاهر فى الشرع وفى اللسان إلا عمن حجب الله بصيرته .

فإذا قال المخالف : إن الذى زعمتموه عدول عن ظاهر الخبر ، وهو لا يجوز الذهاب إليه إلا بدليل ملجئ ، ولا دليل معكم على هذا العدول ؟

قلنا : إن من الـكذب القول بأن ماذهب إليه المخالفون هو ظاهر الخـبر ، وما يفهمه منه السامع عند فقدان القرائن ومن ذا يفهم من قول القائل : وصلت إلى الرئيس أو إلى الملك بوزيره أو بقريبه فلان : أن المعنى فيه : الوصول إليه بشخص

ذلك الوزير ، أو ذات ذلك القريب ، لا بدعائه وشفاعته . ومن ذا يفهم من قول القائل : إنما نبلغ حاجاتنا وننال حقوقنا ، وما نصبوا إليه بأيدينا وسواعدنا وأنفسنا : أن المعنى بلوغ ذلك بالذوات المجردة ، وبالأشخاص واللحم والدم والعظام ؟ ومن ذا يفهم من قول القائل : بالحديد وبالنار ينال المسلمون حقوقهم واستقلالهم ، ويردون عليهم كرامتهم المفقودة ، لا بالأنين والبكاء ، ولا بالتضرع والتوسل المهين الذليل على مقاعد جنيف تحت أقدام تلك الآلهة الخرساء الصماء عن دعاء الخير وصوت الحق الرنان ؟ إن المراد استخدام الحديد والنار فى تحطيم أولئك الظالمين وتحريقهم ، حتى يرق إحساسهم ، وتلين عواطفهم الصوانية .

ومن ذا يفهم من قول القائل : سعد المسلمون بالقرآن وعزوا بمحمد ﷺ ونصروا بعمر وخالد وحمزة وعمرو بن العاص ؟ إلا أن المعنى أنهم نالوا ذلك بأعمال هؤلاء وإيمانهم وشجاعتهم وتدبيرهم ، لا بأشخاصهم ولا بجاههم .

كل هذا الذى ذكرناه وقدمناه ، المعنى فيه ظاهر جلى

لانزاع فيه ولا خلاف . وكلام النبي نذهب به حيث تذهب اللغة العربية . فقوله عليه السلام في تعليمه الدعاء « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك » وقوله « توجهت بك » معناه : التوجه والسؤال بالعمل لا بالذات ، والعمل هنا هو الدعاء والشفاعة بلا ريب .

وقريب من هذا قول النبي ﷺ « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » ولا يمكن أن يراد أنها دخلت النار بجسم الهرة وذاتها ، بل المعنى أنها دخلتها بعملها الذي قتلتها به . والأمر واضح جلي ، ولكن العوام لا يعقلون ولا يفقهون ولا يفهمون . فإلى الله المشتكى في مسخ العقول ، وطمس القلوب .

فإن قال المخالف : إن قولكم هذا يقضي بأن يكون في الحديث كلمة محذوفة ، وهي كلمة الدعاء والشفاعة ، التي تزعمون أن التوجه والسؤال بها لا بالذات فيقدر في قوله (وأتوجه إليك بنبيك» بدعاء نبيك ، وفي قوله « توجهت بك » توجهت بدعائك ، وهذا تقدير وادعاء في الحديث لا دليل عليه ، ولا ملجيء إليه .

إذا قال المخالف هـذا قلنا له : إن التقدير فى الحديث واجب على قولنا وقولكم وعلى كل قول ، فأنت تقول : إن التقدير : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بذات نبيك وبحرمته وبكرامته عليك ومكانته لديك ، ونحو ذلك من المحذوفات، ولا دليل فى الحديث على واحد منها . أما نحن فنقدّر الدعاء فقط ، والدعاء مذكور فيه ، مدلول عليه بأول الخبر وآخره ، فكان تقديره سائغاً بل واجباً ، بل هو فى حكم المذكور المنصوص عليه ، فالعلم به لايحتاج إلى تفكير ، ولا إلى دلالة ولا إلى شىء غير الفهم والإنصاف ، بل هذا مايتبادر إلى فهم كل قارىء له ، ماعدا أهل الهوى والجدل والعناد .

وإننا نتحدى المخالفين ونطلب إليهم جميعاً أن يذكروا لنا كلمة واحدة فى الشرع وفى اللسان جاء استعمالها كاستعمال الحديث ، وكان التفسير لها كما ذكروا . فإن جاءوا بشىء من ذلك قلنا : صدقوا ، وإلا فلا مهرب لهم من اقتحام الحقيقة والرضا بالأمر الواقع ، والحق الذى لاغضاضة على قابله .

على أن فى الحديث شيئاً يدل دلالة قاطعة على ما نذهب إليه ، وعلى فساد ما يذهبون إليه ، وهو قوله ﷺ « وإن

شئت صبرت وهو خير لك » فإنه لو كان مافى الحديث سؤالاً بالذات والكرامة والجاه ، وكان السؤال بهذه الأمور : من التوسل إليه تعالى ، ومن ابتغاء الوسيلة المذكورة فى كتاب الله كما يزعم المخالف ـ لما أمكن أن يشير النبي على الأعمى بالصبر والترك ؛ فإن الصبر عن التوسل والتقرب إلى الله عما يقرب منه حقيقة لا يمكن أن يختاره النبي لأحد من عباد الله ؛ لأن الخلق جميعاً مطالبون أبداً بالتقرب إلى الله ، وبابتغاء الوسائل المقربة إليه كلها ، وترك هذا التقرب لا يمكن أن يكون فيه خير بل هو شر كله . والمخالفون يزعمون أن التوسل إلى الله وسؤاله بالنبي والصالحين الأحياء منهم والأموات من أفضل الطاعات وأشرف العبادات ، بل لعل طوائف منهم يحسبون أن دعاء الله بغير هذه الوسيلة لا يقبل ، وأن دعاءه بها مقبول على كل حال ، كما ذكر هذا الحرازى السودانى فى كتابه « الوهابية المهزومة » وقرر ذلك وأكده . ولعله إذا اطلع على مافى هذا الحديث الأعمى ، وما نقلناه عنه يرجع إلى ربه ، وإلا فله الحساب العسير .

***

فالحديث إذاً نقض لمذهبهم ، والحديث إذاً عليهم لا لهم ونكتفى بهذا القدر فى بيان سقوط حجة الحرازى وحزبه .

وهنا ننبه إلى نقطة لم يقرعها قلم أحد قبلنا ؛ وهى فى غاية الأهمية ، وهو عدم ذكر اسم هذا الأعمى الذى من الله عليه مجيباً دعوة رسوله الأعظم ﷺ وإكرامه بهذه المعجزة العظيمة لو صح هذا الحديث . ومعجزاته تفوت العد ولا يحصيها الكاتبون ، وكما لم يذكر اسمه أحد لم تذكر له كنية ولا من أى قبيلة هو ، وهل هو مهاجرى أو أنصارى ، خزرجى أو أوسى . وهذا عجيب جداً إهمال هذا كله فى معجزة كهذه . وكم من أعمى كان فى زمنه ﷺ ومنهم من كانت تنصب له المنابر لينافح عن دين محمد وعرضه . أفما كان الأولى بمثل هؤلاء أن ينيلهم الله تعالى هذه المعجزة العظيمة التى ألقى بحديثها الشيطان ؛ كي يلقى المسلمين فى داهية دهماء ينقلهم عن دينهم الحق إلى ترهات وضلالات .

ومما كتبه بعد مستدلا به على مذهبهم الفاسد قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)

لقد حرفوا هذه الآية الكريمة عن موضعها ، وأوحى الشيطان إلى طاغوتهم الأول السبكي مؤسس هذه الدعوة الشيطانية ، فكتب على هذه الآية الكريمة ما لا يتلاقى معها بسبب ، ولا يرتبط معها برباط ، فكان عليه إثم كل من اغترّ بجهالاته ، فيحمل وزره إلى يوم القيامة ، ويقود عباد الأموات إلى جهنم وبئس المصير فقال عامله الله بما يستحقه :

(الباب الخامس في تقرير كون الزيارة قربة)

قال : وذلك في الكتاب والسنة والإجماع والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الخ ثم قال : دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده ، واستغفاره لهم ، وذلك وإن كان ورد في حياته فهي رتبة له لا تنقطع بموته ﷺ تعظيما له ، فإن قلت : المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم ، وبعد الموت ليس كذلك ، قلت : دلت الآية على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفارهم ، واستغفار الرسول لهم فأما استغفار الرسول فهو حاصل لجميع المؤمنين ؛ لأن رسول الله

ﷺ استغفر لجميع المؤمنين ، ولهذا قال عاصم بن سليمان — وهو تابعى — لعبد الله بن سرجس الصحابى : « استغفر لك رسول الله ؟ فقال : نعم ، ولك ، ثم تلا الآية الكريمة (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) رواه مسلم .

فقد ثبت أحد الأمور الثلاثة ، وهو استغفار الرسول لكل مؤمن ومؤمنة ، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم كملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته ، وليس فى الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم ، بل هى محتملة ، والمعنى يقتضى بالنسبة إلى استغفار الرسول أنه سواء تقدم أم تأخر ؛ فإن المقصود إدخالهم بمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار الرسول ﷺ وإنما يحتاج إلى المعنى المذكور إذا جعلنا (واستغفر لهم الرسول) معطوفا على (فاستغفروا الله) أما إن جعلناه معطوفا على (جاءوك) لم يحتج إليه .

هذا كله إن سلمنا أن النبى لا يستغفر بعد الموت ، ونحن لا نسلم ذلك ؛ لما سنذكره من حياته ﷺ واستغفاره لأمته بعد موته .

وإذا أمكن استغفاره وقد علم كمال رحمته وشفقته على أمته ؛ فنعلم أنه لايترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه تعالى .

قال : فقد ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة فى الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ مستغفراً فى حياته وبعد مماته . والآية وإن وردت فى أقوام معينين فى الحياة ، فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى الحياة ، وبعد الموت . ولذلك فهم العلماء من الآية العموم فى الحالتين ، واستحبوا لمن أتى قبر النبي ﷺ أن يتلو هذه الآية ، ويستغفر الله تعالى . اهـ ماذكره السبكى .

يقول كاتبه : وهاك كلام الإمام ابن عبد الهادى المقدسى فى كتابه « الصارم المنكى على رقبة السبكي » فليقرأه المنصف بعين العدل ؛ ليرى نور العلم وحقائق العرفان من تلك الظلمة الحالكة السبكية ، نعوذ بالله تعالى .

قال ابن عبد الهادى رحمه الله : والجواب أن يقال: قوله « هى قربة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس » الكلام عليه من وجوه :

الأول : مطالبته بتصحيح مدعاه ، وإلا كانت دعوته مجردة عما يثبتها .

الثاني : أن القربة هي ما جعله الله ورسوله قربة : إما بأمره ، وإما بإخباره أنها قربة ، وإما بالثناء على فاعلها ، وإما بجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه ، أو تكفير سيئات أو غير ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوباً لله ، مقرباً إليه .

الثالث : أنه لا يكفي مجرد كون الفعل محبوباً له في كونه قربة ، وإنما يكون قربة إذا لم يستلزم أمراً مبغوضاً مكروهاً له ، أو تفويت أمر هو أحب إليه من ذلك الفعل ، وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة . وهذا كما أن إعطاء غير المؤلفة من فقراء المسلمين وذوي الحاجات منهم ، وإن كان محبوباً لله فإنه لا يكون قربة إذا تضمن فوات ماهو أحب إليه من إعطاء من يحصل بعطيته قوة في الإسلام وأهله ، وإن كان غنياً قوياً غير مستحق .

وكذلك التخلي لنوافل العبادات إنما يكون قربة إذا لم يستلزم تعطيل الجهاد الذي هو أحب إلى الله سبحانه من

تلك النوافل وحينئذ فلا يكون قربة فى تلك الحال ، وإن كانت قربة فى غيرها .

وكذلك الصلوات فى وقت النهي إنما لم تكن قربة لاستلزامها ما يبغضه الله سبحانه ويكرهه ، من التشبه ظاهراً بأعدائه الذين يسجدون للشمس فى ذلك الوقت .

فههنا أمران يمنعان كون الفعل قربة : استلزامه لأمر مبغوض مكروه ، وتفويته لمحبوب هو أحب إلى الله من ذلك الفعل . ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل أطلعه على سر الشريعة، ومراتب الأعمال ، وتفاوتها فى الحب والبغض والنفع والضر بحسب قوة فهمه وإدراكه ، ومواد توفيق الله له . بل مبنى الشريعة على هذه القاعدة ، وهى تحصيل خير الخيرين وتفويت أدناهما ، وتفويت شر الشرين باحتمال أدناهما ، بل مصالح الدنيا كلها قائمة على هذا الأصل . وتأمل نهى النبي أولا عن زيارة القبور سداً لذريعة الشرك ، وإن فاتت مصلحة الزيارة . ثم لما استقر التوحيد فى قلوبهم ، وتمكن منها غاية التمكن أذن فى القدر النافع من الزيارة ، وحرم ما هو داع إلى غيره ، فحرم اتخاذ المساجد عليها ، وإيقاد السرج عليها ،

والصلاة عليها فحرم جعلها قبلة ومسجداً ، ونهى عن اتخاذ قبره الكريم عيدا ، وسأل ربه تعالى أن لا يجعل قبره وثنا يعبد . وقد استجاب له ربه تعالى بأن حال بين قبره وبين المشركين ، عالم يبق معهم وصول إلى عبادة قبره ، وأمر الأمة بالصلاة عليه ـ حيثما كانوا ـ عقيب قوله : « لا تتخذوا قبرى عيدا » فقال : « وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » .

فهو ﷺ أحرص الناس على تحصيل القرب لأمته ، وقطع أسباب أضدادها عنهم ، وإنما دخل الداخل على من ضعفت بصيرته فى الدين ، وكانت بضاعته فى العلم مزجاة . فلم يتسع صدره للجمع بين الأمرين ، ولم يتفطن لارتباط أحدهما بالآخر ، وهذا القدر بعينه هو الذي ضاقت عنه عقول الخوارج ، وقصرت عنه أفهامهم ، حتى قال قائلهم فى قسمته : « اعدل فإنك لم تعدل » فإنه لما لحظ مسألة التسوية ولم يلتفت إلى مصلحة الإيثار وما يترتب على فواته من المفاسد قال ماقال . فهؤلاء سلف كل متعمقل متعملم على ما جاء به الرسول بعقله أو رأيه أو قياسه أو ذوقه . والمقصود : أن كون الفعل قربة ملحوظ فيه هذان الأمران .

الرابع : أنه كيف يتقرب إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه بعين مانهى عنه ، وحذر منه الأمة بقوله : « لاتتخذوا قبرى عيدا » ؟ ومعلوم أن جعل الزيارة من أفضل القرب مستلزم لجعل القبر من أجلّ الأعياد .

وهذا ضد ماحذر منه الأمة ، ونهاهم عنه ، وتقرب إليه بما يسخطه .

الخامس : الكلام على ماذكره من الأدلة مفصلا ، وبيان عدم دلالته على ما ادعاه ، وأنه هو وغيره عاجز عن إقامة دليل واحد ، فضلا عن الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس .

فأما استدلاله بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) إلى آخر الآية ، فالكلام فيها فى مقامين ، أحدهما : عدم دلالتها على مطلوبه ، الثانى: بيان دلالتها على نقيضه وإنما يتبين الأمران بفهم الآية ، وما أريد بها وسيقت ، وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه ، وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم ، ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجىء إليه فى حياته يستغفر لهم . وقد ذم الله تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه ، وأخبر أنه من المنافقين، فقال (وإذا قيل لهم : تعالوا يستغفر لكم

رسول الله لوّوا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) .

وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت ، دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ، ثم لم يجئ إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب ، وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى ما صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه ، فقال: يارسول الله فعلت كذا وكذا ، فاستغفر لي . وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين . فلما استأثر الله بنبيه ﷺ ونقله إلى الرفيق الأعلى من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي قبره ويقول : يا رسول الله ، فعلت كذا وكذا فاستغفر لي . ومن يقل هذا عن واحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت . أفترى عطل الصحابة والتابعون ـ وهم خير القرون على الإطلاق ـ هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه من تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ، ووفق له من لا يؤبه له من الناس ، ولا يعد في أهل العلم ، وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام وهداة الأنام: من أهل الحديث والفقه والتفسير ، ومن

لهم لسان صدق ، فلم يدعوا إليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا إليه ، ولم يفعله منهم أحد ألبتة ؟ بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك ، الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية .

ولما كان هذا المنقول شجى فى حلوق البغاة ، وقذى فى عيونهم : وريبة فى قلوبهم قابلوه بالتكذيب والطعن فى الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ، ويأبى الله إلا أن يعلى منار الحق ويظهر ، أدلته بهدى المسترشد ، وتقوم الحجة على المعاند ، فيعلى الله بالحق من يشاء ويضع برده وبطره وغمص أهله من يشاء . ويا لله العجب : أ كان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها حى بين أظهرها موجود ، وقد دعيت فيه إلى المجىء إليه ليستغفر لها ، وذم من تخلف عن هذا المجىء ، فلما توفى ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها ، بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجىء إليه ليستغفر له ؟! وهذا يبين أن التأويل الذى تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ، ولو كان حقا لسبقونا إليه علما وعملا ، وإرشادا ونصيحة ولا يجوز إحداث تأويل فى آية أو سنة لم يكن على عهد

السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة . فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق فى هذا وضلوا عنه ، واهتدى إليه هذا المعترض المتأخر ، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ؟ وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب فى رده . وإنما ننبه عليه بعض التنبيه . وإنما يدل على بطلان تأويله قطعا : أنه لا يشك مسلم أن من دعى إلى رسول الله ﷺ فى حياته – وقد ظلم نفسه – ؛ ليستغفر له ، فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه كان مذموما غاية الذم ، مغموسا بالنفاق ، ولا كذلك من دعى إلى قبره ليستغفر له . ومن سوى بين الأمرين ، وبين المدعوين وبين الدعوتين ، فقد جاهر بالباطل ، وقال على الله وكتابه ورسوله وأمناء دينه غير الحق .

وأما دلالة الآية على خلاف تأويله : فهو أنه سبحانه صدرها بقوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الخ الآية

وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له . ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة . ولم يقل مسلم أن على من ظلم نفسه بعد موته : أن يذهب إلى قبره ، ويسأله

أن يستغفر له ، ولو كان هذا طاعة له لـكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ، ووفق لها هؤلاء الغلاة . وهذا خلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً . ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي ، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه . يوضح ذلك أنه ﷺ قال « لا تجعلوا قبري عيداً » ولو كان يشرع لـكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له لـكان القبر أعياد المذنبين . وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به .

فصل

والمعترض قرر التأويل على تقدير حياته ﷺ وموته وقد تبين بطلانه . ولو قدر أنه ﷺ حي في قبره مع أن هذا التأويل الباطل إنما يتم به ، وقوله : إن من شفقته ﷺ على أمته أنه لا يترك الاستغفار لمن جاءه من أمته : فهذا من أبين الأدلة على بطلان هذا التأويل ، فإن هذا لو كان مشروعاً بعد موته لأمر به أمته ، وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولـكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب شيء فيه ، وأسبق إليه

ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له، ولا شكا إليه، ولا سأله.

والذى صح عنه من الصحابة مجيء القبر: هو ابن عمر وحده إنما كان يجيء للتسليم عليه ﷺ وعلى صاحبيه عند قدومه من سفر، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً ألبتة. ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمري - الذى هو أجل أصحاب نافع مولى ابن عمر، أو من أجلهم -: لا نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر. ومعلوم أنه لا هدى أكمل من هدى الصحابة ولا تعظيم للرسول فوق تعظيمهم، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم، فمن خالفهم إما أن يكون أهدى منهم، أو مرتكباً أمر بدعة، كما قال عبد الله بن مسعود لقوم رآهم اجتمعوا على ذكر يقولونه بينهم «لأنتم أهدى من أصحاب محمد، أو أنتم على شعبة ضلالة». فتبين أنه لو كان لمن جاءه مستغفرا بعد موته ممكنا أو مشروعا لكان كمال شفقته ورحمته. بل رأفة مرسله ورحمته بالأمة يقتضى ترغيبهم فى ذلك، وحضهم عليه، ومبادرة خير القرون إليه.

وأما قول المعترض «وأما الآية وإن وردت فى أقوام

معينين فى حال الحياة ، فإنها تعم بعموم العلة » فحق؛ فإنها تعم ما وردت فيه وما كان مثله . فهى عامة فى كل من ظلم نفسه وجاءه كذلك .

وأما دلالتها على المجيء إليه فى قبره فقد عرف بطلانه .

وقوله «وكذلك فهم العلماء من الآية العموم فى الحالتين» فيقال له : من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام ، فاذكر لنا عن واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعى التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة وأهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذى ذكرته، أو عمل به ، أو أرشد إليه . فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى باطلة ظاهرة البطلان .

فإن قيل: قد روى أبو الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله ابن عبد الرحمن الكرخى عن على بن محمد بن على حدثنا أحمد ابن محمد بن الهيثم الطائى قال : حدثنى أبى عن مسلمة بن كهيل عن أبى صادق عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: « قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثى على رأسه من ترابه، وقال: يارسول الله ،

قلتَ فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله عز وجل فلم نَعِ عنك ، وكان فيما أنزل الله عز وجل (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الخ الآية . وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودى من القبر : قد غفر لك » .

والجواب : إن هذا خبر منكر موضوع ، وأثر مختلق مصنوع ، لايصلح الاعتماد عليه ، ولا يحسن المصير إليه . وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض . والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدى الطائى ، فإن يكن هو فهو متروك كذاب ، وإلا فهو مجهول . وقد ولد الهيثم بن عدى بالكوفة ، ونشأ بها ، وأدرك زمن مسلمة بن كهيل فيما قيل ، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها . قال عباس الدورى : سمعت يحيى بن معين يقول : الهيثم بن عدى كوفى ، ليس بثقة . كان يكذب ، وقال العجلى وأبو داود : كذاب ، وقال أبو حاتم الرازى والنسائى والدولابى والأزدى : متروك الحديث ، وقال السعدى : ساقط قد كشف قناعه ، وقال أبو زرعة : ليس بشيء ، وقال البخارى : سكتوا عنه أي تركوه ، وقال ابن عدى : ما أقل ما له من المسند ، وإنما كان صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار ، وقال ابن حبان : كان

من علماء الناس بالسير وأيام الناس بأخبار العرب، إلا أنه روى عن الثقاة أشياء كلها موضوعة، يسبق إلى القلب أنه كان يدسها، وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث، قال الحاكم أبو عبد الله: الهيثم بن عدى الطائى فى علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقاة أحاديث منكرة، وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول: قالت جارية الهيثم: كان مولاى يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب.

وهذا كلام الحافظ ابن عبد الهادى فى رده على السبكى طاغوت هذه الدعوى عن الآية الكريمة، ومع الأسف أنه لم يوجد فيها ما يسعف الحرازى السودانى حامل الشهادة العالمية كذباً وغشاً، فهل ينصف الحرازى مؤلف الوهابية المهزومة إذا قرأ كتابى هذا، وشاهد الكلام الفصل فى هذه الآية الكريمة، وأنها لاتبل ريقه ولاتبرد صداه، فيرجع عن غيه، فيكون ممن مدحهم الله تعالى بقوله (فبشر عبادى . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الخ الآية الكريمة.

وبقى من كلام الحرازى فى كتابه حسيكة من شبهة نقلها فى كتابه مقلداً من كتبها، وهى ما رواه الطبرانى عن أنس

ابن مالك رضى الله عنه قال «لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب ـ وكانت قد ربت النبي عليه السلام ـ دخل عليها ، فجلس عند رأسها ، ثم قال رحمك الله يا أمى بعد أمى ، وذكر ثناءه عليها ثم كفنها ببردته ، وأمر بحفر قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه ، ثم قال : الله الذى يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ؛ فإنك أرحم الراحمين . وكبر عليها أربعا ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق » رواه فى الكبير ، وفيه روح بن صلاح ، وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، كذا فى مجمع الزوائد . وذكر من حديث ابن عباس نحوه ، إلا أنه ليس فيه هذه الزيادة ، أعنى قوله « بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى » وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه راو مجهول ، وبقية رجاله ثقات .

والجواب أن يقال : أما رواية ابن عباس فلا شيء فيها إلا أنها خالية من هذه الزيادة ، زيادة السؤال بحق النبى

والأنبياء على ما في سندها من الجهالة التي ذكرها الحافظ الهيثمي . وأما رواية أنس فهي التي فيها استدلال المخالف لو كانت صحيحة ثابتة ، ثم في سنده على قول صاحب مجمع الزوائد وقول المخالفين روح بن صلاح المصري المكنى بأبي الحارث المشهور بابن سيابه ، ضعفه ابن عدي الحافظ ، ووضعه ابن حبان في ثقاته ، وقال الحاكم ثقة مأمون ذكر هذا الذهبي في الميزان . وذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ، وقال بعد ذلك : ذكره ابن يونس في تاريخ الغرباء فقال : من أهل الموصل ، قدم مصر وحدث بها ، رويت عنه مناكير . وقال الدارقطني : ضعيف في الحديث ، وقال ابن ماكولا : ضعفوه ، وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين : له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة ، ذكر هذا كله في لسان الميزان ، فالأكثرون إذاً من علماء النقد وعلماء الجرح والتعديل يضعفونه ، وتوثيق ابن حبان له لا يمكن أن يعارض به جرح هؤلاء الذين جرحوه ، أمثال ابن عدي والدارقطني وغيرهما ؛ لأن ابن حبان والحاكم متساهلان لينان في نقدهما وحكمهما في هذا الشأن . أما ابن حبان فإنه ذكر ذلك في كتابه الذي وضعه لثقات

الرواة من هم بعيدون عن الثقات ، فذكر فيه المجهول والضعيف ، بل والكذاب .

ومن العجيب : أنه وضع فى كتابه هذا من ضعفهم هو بنفسه ، ومثله الحاكم فى هذا ، فإنه يضعف الرجل ثم يصحح حديثه ، وقد ضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ثم صحح حديثه الذي رواه فى سؤال آدم ربه بحق محمد ﷺ والحاكم أوهى فى هذا الشأن من حبان وأوهن ، وهو فى توثيق الرواة مثل نفسه فى تصحيح الأحاديث ؛ فإنه كما يصحح الأحاديث الباطلة والموضوعة المكذوبة ، كذلك يوثق الراوى الضعيف والوضاع الكذاب . وقد أكثر من هذا فى مستدركه على الصحيحين ، حتى أضاع قيمته العلمية ، وحتى ساغ لهم أن يتهموه فى اعتقاده ومذهبه . وقد قال الحافظ الذهبي فى الميزان : الحاكم أبو عبد الله الحافظ صاحب التصانيف إمام صدوق ، ولكنه يصحح فى مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك ، فما أدرى أخفيت عليه ، فما هو ممن يجهل ذلك ، وإن علم فهذه خيانة عظيمة ، ثم هو شيعى مشهور بذلك من دون تعرض للشيخين .

وقد نقل هذا الذى ننقل منه ـ عافاه الله ـ نحو صحيفة ونصف

عدد فيها كثيراً من علماء هذا الشأن، مؤيداً به كلام من ذكرهم قبل، ممن تكلموا على الحاكم وصنيعه الذى أسقطه بين نطاحلة أئمة الفن .

قال تداركه الله بلطفه : فتوثيق ابن حبان والحاكم ومن فى طبقتهما لروح بن صلاح هذا لا يعتد به فى معارضة تضعيف الناقدين البصيرين البارعين له : ابن عدى ، والدارقطنى ؛ فإن هذين الحافظين من أبرع الناس وأبصرهم ، وأحذقهم بالرجال وبعلم الجرح والتعديل ، وبمعرفة هذا الشأن كله ، فإذا ضعف ابن عدى والدارقطنى راوياً . ووثقه مثل الحاكم وابن حبان ، فلا ريب أن الإنصاف يقضى بتقديم تضعيفهما على توثيقهما ، وتوثيق أمثالهما ، وهذا لا يدق عن فهم الذكي من المشتغلين بهذا الفن ، وليس هذا راجعا عندنا إلى أن الجرح مقدم على التعديل كما يقولون ، ولكنه راجع إلى ما بين أمثال الدارقطنى وابن عدى ، وأمثال ابن حبان والحاكم ، من فرق وتفاوت فى معرفة هذا العلم ، فروح بن صلاح رواى هذا الحديث غير صحيح الحديث ، ولا مقبوله إذا انفرد به .

أما معنى الحديث على تقدير صحته وثبوته : فالجواب أن

قوله «وسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى» لا يدل إلا على شيء واحد، وهو جواز أن يسأل الله بحق المخلوق الصالح وهذا أمر يسير بسيط بإزاء ما يأتيه عباد القبور عند قبورهم: من دعواتهم، والاستغاثة بهم، وسؤالهم جميع الحاجات وفرق عظيم بين سؤال الله بحق الأنبياء والصالحين، وبين سؤال الأنبياء والصالحين أنفسهم؛ فإن الأول توحيد لله وعبادة له، وتضرع واستجداء إليه، وغاية ما فيه أنه ابتدع فيه بدعة والبدعة بريد الشرك لمن لم يفرق، وغالب الأمة - علماؤها وجهالها - لا يفرقون.

وأما الأمر الثانى، وهو سؤال الأنبياء والصالحين أنفسهم: فعبادة لغير الله وشرك به تعالى والدعاء مخ العبادة أو هو العبادة، كما فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً: «الدعاء هو العبادة» وشتان ما بين الأمرين: الشرك والتوحيد والبدعة عبادة الخالق وعبادة المخلوق سؤال الله وسؤال الموتى، فاعقلوا يا أولى الألباب.

وليس هذا هو ما أقام الخلاف بين فريق التوحيد وحزب التنديد. وليس هذا هو ما نعلن النكير العام الحاد على

المخالفين من أجله ، وإنما ذلك هو دعاء الأموات وسؤالهم الحاجات، كما يدعي الحرازي، وكما يدعي شيعته الذين قلدهم ونقل ما يفعلون ، ونحن نتبرع للحرازي بأشياء وردت توافق مذهبه ومذهب من قلدهم في ضلالهم ، فلمس بقامه الخاطىء الخاسر مقام شيخ الإسلام المجدد الأكبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر، ومحيي رميم الدين بعد اندراسه رضي الله عنه — لنأتي له ولأمثاله على ما لم يره ، ولكن هل يسعدون به وتقر به أعينهم ؟ كلا والله ، بل هو ظلمات فوق ظلمات ، وترهات ومفتريات ، وأطحنا فيها بضلالاته ؛ لعله يرعوي ، ويعرف الحق لذويه ويحقق ما ادعاه من حمل شهادة العلم ، وإلا فليتردى مجلجلا في أرض قارون التي خسف الله به فيها فهو يهوي إلى يوم الدين .

قال الحافظ الهيثمي في كتابه «مجمع الزوائد» الجزء التاسع : روى الطبراني بإسناد حسن عن عروة بن الزبير قال : قالت صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ترثي رسول الله

ألا يارسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا

فحرف البيت سلف الحرازي ، متبعين اليهود في تحريفهم

يحرفون الكلم عن مواضعه : ألا يارسول الله أنت رجاؤنا الخ . منددين على أهل الحق منهم من مثل هذا ، قائلا سلف الحرازى المحرف : وقول صفية صريح فى التوسل والاستغاثة به ﷺ أى أنت رجاؤنا فى الشفاعة إلى الله . فهذه استغاثة من صفية وطلب من ميت .

والجواب من وجهين ، أحدهما : الكلام على الإسناد فإن ذلك أول مايجب أن يسأل عنه ، وأن يبحث عنه الباحثون وثانيهما : الكلام على معنى الرواية إذا كان صحيحاً . أما السند فليس صحيحا يقينا ، وذلك أن الرواية من حديث عروة بن الزبير ، وعروة تابعي ، ولد بعد وفاة رسول الله ببضعة عشر عاما ، فحديثه هـذا مرسل ، والمراسيل ليست حججا ؛ لأنها منقطعة ، أو فى حكم المنقطع ، والأحاديث المنقطعة ليست بصحيحة عند علماء هذا الشأن ، ثم إن عروة بن الزبير ما ولد إلا بعد وفاة صفية بنت عبد المطلب ، فإن صفية توفيت سنة عشرين ، وعروة ما ولد إلا بعد وفاة صفية ، فروايته عنها منقطعة أيضاً ، فالرواية منفية على كل حال ، ومعلوم أيضاً أن الطبرانى يروى كل شيء حتى الموضوعات المكذوبة ، وقول

الحافظ الهيثمي إن الإسناد حسن يدل على ضعفه؛ لأنه متساهل في التصحيح والنقد: كما تقدم وتحسينه له مع إرساله يدل على تساهله الشديد. وهذه القصيدة التي منها هذا البيت معدودة في مراثي النبي ﷺ قد ذكر ابن هشام في سيرته المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ ولم يذكر مرثية صفية هذه.

أما معنى هذا الشعر إذا صح أن صفية قالته حقيقة، فلا يدل على ماذهبوا إليه ألبتة، وذلك أن معنى الشعر الذي استدلوا به على ما في مجمع الزوائد «كنت رجاءنا» لا «أنت رجاؤنا» وقال: رواه الحافظ السلفي بإسناده عن هشام بن عروة. وساق الحرازي ذكر الشعر بلفظ «أنت رجاءنا» تحريفا من عند نفسه وعند الذين يقلدهم في هذه الآفات العلمية، واللفظة الصحيحة هي ماذكره الهيثمي في مجمع الزوائد والمحب الطبري والحافظ السلفي «كنت رجاءنا» تعني أنه كان ﷺ رجاءهم يوم أن كان حياً بين أظهرهم ومعنى هذا: أنهم كانوا في حياته عليه السلام يرجعون إليه إذا عميت عليهم الأنباء، وأشكلت الأمور، وتعقدت ليدعو الله لهم، وليسأله من أجلهم، وليبين لهم ما يحتاجون إليه من الهدى والدين، وشئون الدنيا، وليعالج نفوسهم وعقولهم

وقلوبهم وعقائدهم من آلامها وفسادها وعذابها واضطرابها بإيمانه وقرآنه وإحسانه ، فقد كان ﷺ يوم أن كان حيًّا نجم المؤمنين الثاقب ، يهتدون به ويسيرون ويدلجون على ضوئه وهداه فى ظلمات العقائد ، ودياجى الأديان المبدلة المحرفة الزائغة عن السبيل . وكان ﷺ رجاءهم يرجعون إلى وحيه عند الضلال والإشكال ، وإلى دعواته وشفاعاته عند الضيق والإمحال ، وإلى ثباته وإيمانه وإيقانه عند اشتداد الأهوال فيرجعون إلى نعم الرجاء ، ويصلون آمالهم وحاجاتهم بعلياء السماء ، فلما أن سما هذا الرجاء إلى ربه خلا مكانه ، وبقى كتابه وإيمانه سببين بين المؤمن به وبينه يسمو بهم إلى حيث سما ، يصلان أهل الأرض بأهل السماء ، حتى يلتقى الجميع فى مكان القدس الأعلى .

فالرواية « كنت » حرفها بقايا يهود أسلافك أيها الحرازى طواغيت الضلال « لا أنت » بالفعل الماضى . ولا ريب أن رسول الله ﷺ كان رجاء المسلمين فى حياته ، ولكن ليس معنى هذا أنه كان رجاءهم فى الخلق والرزق وتيسير الأمور العسيرة وتفريج الكربات ، ولا فى الإحياء والإماتة ، ولا فى هداية

القلوب وغفران الذنوب ، ولا فيما هو خاص بالله رب العالمين من هذه الأمور ، وإنما كان رجاءهم فيما كان يستطيعه مخلوق ممتاز مثله ، ورسول مقرب إلى ربه ، حظى بمكانة الرسالة وشرفها وبسفارة جبريل سيد الملائكة وغيرها .

فهو ﷺ رجاؤهم فى بيان الحق من الباطل ، والظلام من النور ، وبيان ما يرضى الله مما يغضبه ويسخطه ، وفى الدلالة على الله وعلى دينه وسُبُله الواضحة المستقيمة .

فهذا هو معنى قول صفية « ألا يا رسول الله كنت رجاءنا » لا كما ذكرها سليق الحرازى ومقلده بلفظ : أنت رجاؤنا ، تحريفاً منه ومن الذين يقلدهم وينقل عنهم هذه الشناعات الصلعاء ، حرفها وحرفوها ليصلح له ولهم ما زعمه وزعموه فى فى تأويل هذه اللفظة ، من أنها تدل على جواز كل ما يأتون من البدع والترهات والضلالات ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون ، على بقايا يهود الذين حكى الله عنهم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ؛ ليطمسوا الحق الذى أنزله الله ، والنور الذي هدى الله تعالى به ، فلتطب نفس الحرازى ، ولتقر عينه بما سقناه إليه هنا عن حديث صفية الذي لم يضمنه كتابه ، وفيما نقلناه أيضاً

عن حديث فاطمة بنت أسد رضى الله عنها ، وفيما نقله هنالك من كذب وإفك ، وافتراء وباطل .

(خاتمة فى زيارة الرسول ﷺ)

وقد ختم الجرازى كتابه «الوهابية المهزومة» بالكلام على زيارة قبر النبي ﷺ ولم يلازمه التوفيق ، ولا رافقه السداد مسكين وأى مسكين ؛ إذ حشر فى بحثه هذا جميع الأحاديث التى أوحى بها الشيطان إلى سلفه السبكي وشيعته ، من الرافضة عباد القبور ، الذين طاروا فرحا بهذه الأحاديث التى لفقها اليهود ؛ لينقضوا بها دين محمد ﷺ

نعم بتلك الأحاديث الموضوعة المكذوبة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ كذبا ومينا ، ولولا ذلك لكان الصحابة رضى الله عنهم وتابعوهم بإحسان من القرون الثلاثة ، قرون الخير والأئمة الأربعة المتبوعون قد قصروا ، رحمهم الله تعالى .

نعم كانوا قد قصروا بل وضلوا بعدم اتباع ما فى تلك الأحاديث ، وما تضمنته من شد الرحل إلى القبر المعظم ، والعكوف عنده ، والترداد عليه ليل نهار . وهذا لم يثبت وقوعه من أحد منهم ، فكأنهم أجمعوا على مخالفة هذه الأحاديث لو كانت

صحيحة ، كما صححها السبكي وحزبه الضالون .

نعم لو كان هذا السجل عليهم رضوان الله عليهم تقصيرهم في القيام بهذا الواجب الذي تضمنته تلك الأحاديث الباطلة وفاتهم ذلك الثواب الجزيل المترتب على زيارة قبره ﷺ إذ لم يبلغنا عن أحد منهم كما قلنا قبل أنه شد رحله إلى المدينة بهذا القصد ، ولا حينما يصلون إلى المدينة من غزواتهم وحروبهم يجرون إلى القبر المعظم والضريح المكرم ، ولم يرد عنهم هذا الفعل -أي بعد وصولهم إلى المدينة- إلا من عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، كما سقناه لك فيما مضى عن عبيد الله بن عمر العمري صاحب نافع مولى ابن عمر . ومثل هذا من صحابي جليل كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، لم يوافقه عليه صحابي أو صحابه : يُعَدُّ اجتهاداً منه ، ورأياً له ، ولم يقل أحد من أهل الملة : إن اجتهاد الصحابي -سيما الذي انفرد به ولم يوافقه عليه أحد- واجب الاتباع ، مع نزاهة ابن عمر رضي الله عنهما مما يفعله عباد القبور الآن وقبل الآن : من الهتف عندها ودعائها ، والطلب منها والاستغاثة بها . ولم يزد ابن عمر عن السلام على الرسول بالألفاظ الواردة عنه ، والسلام على الصديق ووالده رضي الله عنهما . فأين

هذا مما يفعله الناس قديماً وحديثاً ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولنورد هنا مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه في الزيارة .

قال رحمه الله تعالى لمن سأله : إنا لا ننكر شد الرحل إلى مسجد الرسول ﷺ ولا بأس من أن ينوى الشادُّ زيارةَ القبر المعظم فى هذا السفر ، كما لم تقل : إن السفر بهذه النية المزدوجة لا تقصر فيه الصلاة ، بل تقصر فيه الصلاة ؛ لأنه سفر مرغب فيه ؛ لقوله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

وهذا حديث فهمه الصحابة رضى الله عنهم فلم يثبت عن أحد منهم أنه شد رحلا لغير هذه المساجد الثلاثة ، حتى أن أبا هريرة رضى الله عنه لما شد الرحل لزيارة الطور الذى كلّم الله فيه نبيه موسى عليه السلام ورجع ، فلما رجع قال له بصرة ابن أبى بصرة الغفارى : لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت ، سمعت رسول الله يقول : « لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، ومسجد بيت المقدس » .

وهاك كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنقله لك برمته من

كتابه « الجواب الباهر » لمن سأل من ولاة الأمر عما أفتى به في زيارة المقابر» : قد ذكرت فيما كتبته في مناسك الحج : أن السفر إلى مسجده وزيارة قبره الشريف - كما يذكره أئمة المسلمين - في مناسك الحج عمل صالح مستحب ، وقد ذكرت في عدة مناسك الحج السُّنَّة في ذلك ، وكيف يُسَلَّم عليه عليه الصلاة والسلام ؟ وهل يستقبل الحجرة كقول مالك والشافعي وأحمد ؟

أما أبو حنيفة فيقول : يستقبل القبلة ، ويجعل الحجرة من يساره في قول ، وخلفه في قول ؛ لأن الحجرة لما كانت خارج المسجد ، وكان الصحابة يسلمون عليه ، لم يكن يمكن أحدا أن يستقبل وجهه ويستدبر القبلة ، كما صار ذلك ممكنا بعد دخولها في المسجد ، إلى أن قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : والصلاة تقصر في هذا السفر المستحب بإجماع المسلمين ، لم يقل أحد من أئمة المسلمين : إن هذا السفر لا تقصر فيه ، ولا نهى أحد عن السفر إلى مسجده ، وإن كان المسافر إلى مسجده يزور قبره الشريف ﷺ بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة . ولا في شيء من كلامي أو كلام غيري نهى عن ذلك ، ولا نهى عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ولا عن المشروع

فى زيارة سائر القبور . بل ذكرت فى غير موضع استحباب زيارة القبور ، كما كان النبى ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد ، ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، ونسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم »

يقول كاتبه محمود شويل : وأنا تجاه الكعبة المعظمة عقب صلاة عصر الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٧١ هـ : فأين هذه الألفاظ النبوية الكريمة مما يعلمه الخرازى وسابقوه ممن قلدهم ، مما يفعله زوار القبور الآن وقبل الآن ، مما يهتز له عرش الرحمن ، وتقشعر منه جلود عباد الله ؟ فلينصف إن كان هنالك إنصاف .

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة ، فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى ، لكن رسول الله ﷺ له خاصة ، ليست لغيره من الأنبياء والصالحين ، وهى أنا أمرنا أن نصلى ونسلم عليه فى كل صلاة ،

وشرع ذلك فى الصلاة وعند الآذان وسائر الأدعية ، وأن نصلى ونسلم عليه عند دخول مسجده وغير مسجده ، وعند الخروج منه ، وكل من دخل فلا بد أن يصلى فيه ، ويسلم عليه فى الصلاة .

وقد ذكر شيخ الاسلام رحمه الله قول العلماء فى ذلك ، وذكر قول مالك الذى نقله عنه عامة أصحابه : يكره أن يقال : زرت قبر النبي ﷺ قال : لأن المقصود الشرعى بزيارة القبور السلام عليهم ، والدعاء لهم . وذلك السلام والدعاء قد حصل على أكمل الوجوه له ﷺ فى الصلاة فى مسجده وغير مسجده ، وعند سماع الآذان ، وعند كل دعاء : فإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ولهذا يسلم المصلى عليه فى الصلاة قبل السلام على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين ، فيقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ويصلى عليه فيدعو له قبل أن يدعو لنفسه .

وأما غيره عليه الصلاة والسلام فليس عنده مسجد . الخ ما كتبه شيخ الإسلام رحمه الله من هذه الآداب الشرعية فى

زيارة مسجد الرسول وقبره المعظم، وقبور الأنبياء والصالحين وقبور عموم المسلمين. فمن أراد زيادة إيضاح فليرجع إلى كتبه وكتب تلامذته، الأئمة الهداة القداة كالحافظ ابن القيم، وابن عبد الهادي وابن كثير وغيرهم.

هذا، وقد رأيت أيها الأخ الغيور المسلم المنصف مما كتبناه لك وقدمناه، مما نقلناه لك من كلام الأئمة الهداة أئمة السلف والخلف الصالحين العارفين مقاصدَ الشريعة، ومراد الله تعالى منها فى هداية البشر: أن الشيخ محمد بن الوهاب مجدد القرن الثانى عشر لم يكن أشأم خارج فى نجد، بل هو رضى الله عنه أيمن مجدد، وأبرك داع إلى توحيد الله تعالى، والجهاد فيه والذبّ عن حياضه، لا فى نجد وحدها، بل هاهى دعوته أيها الحرازى المسكين تخطت نجداً، فأنارت الجزيرة كلها، وأشرقت فى اليمن، ثم تخطت البحار فوصلت تخوم الشين مشرقة وناطحت الشمس فى غروبها، فوصلت بلاد المغارب كلها، فلا تمش فى قطر من أقطار الشرق والغرب إلا وتجد دعاةً من أهلها يدعون إلى الله مجاهدين.

فرضى الله عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأرضاه، وبوأه

منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وهـذا آخر ما أردت نقله رادًا به كلام الحرازي ، مبديًا خطأه فى كتابه الذى سـوده به وجه الحق ، وطمس به أعلام الهدى ودين الحق .

وكان الفراغ من تسويد هـذه المجالة تجاه الـكعبة المعظمة ، غروب شمس يوم الجمعة المبارك ـ وقت ساعة الإجابة التى لا يصادفها عبد مؤمن قائم يصلى إلا استجيب له ـ الثالث والعشرين من شهر الله صفر سنة ١٣٧١هـ فمضى على كتابتها ـ ولله الحمد ـ خمسة عشر يومًا ، مستعينًا بالله تعالى ، راجيًا إياه قبولها ؛ إذ وضح بها الصبح لذى عينين ، مصليًا على نخبة الخلق وخيرتهم خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خاتمة الطبع

تم بحمد الله وتوفيقه طبع كتاب « القول السديد فى الرد على الخرازى العنيد » يوم الخميس ٩ من شهر شعبان سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ٢٣ من إبريل سنة ١٩٥٣ م بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة

وقد تفضل بالأمر بطبعه حضرة صاحب السمو الملكى أمير العلماء وعالم الأمراء ، الأمير الأجل ، والأفضل التقى « سعود » ولى عهد الدولة العربية السعودية المؤيدة المنصورة . وذلك على نفقته ؛ حرصاً على نشر العلم ، ومسارعة إلى فعل الخيرات ، وعمل الصالحات ، وبذل نفيس المال فى سبيل العلم ، ونشر التوحيد .

أدام الله تأييده وتوفيقه وتسديده .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده المجتبى ورسوله المختار : محمد وعلى آله وصحبه .

وكتبه فقير عفو الله

محمد حامد الفقى

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

فهرست الكتاب